الإيمان و الحب

قصة شبابية هادفة ..

بقلم رويدة الدعمي

الفصل الأول

كان منتظر جالساً في غرفته يطالع في أحد الكتب عندما دخل عليه والده وقد بدت علامات الحزن والإكتآب عليه ، فبادر الابن أباه بالسؤال :
- مالي أراك شاحباً ومُستاءاً هكذا يا والدي العزيز ؟
- آه يا بُني .. إنني قلق جداً على صاحبي حامد .
- وما بهِ يا أبتي ؟
- أنت تعلم إنهُ ليس لهُ أحد سوى ابنتهِ الوحيدة (ملاذ) إذ إن زوجته قد ماتت أثناء الولادة .. وبعد عشرين عاماً مضت يأتي الطبيب الآن ليؤكد لهُ إن ابنتهُ الوحيدة قد تفقد حياتها قريباً بسبب تعطّل عمل إحدى كليتيها وضعف عمل الأخرى !
أغلق منتظر الكتاب الذي كان بيده ونهض من مكانهِ متسائلاً :
- وماذا سيفعل الآن ؟
- لا أعرف يا منتظر ... إن حالتهُ يُرثى لها ، حتى إنني قبل ساعة من الآن كنت عندهُ في المنزل ووصل الأمر إلى إنهُ بكى وطلب مني أن أساعدهُ بأي شكل من الأشكال !
- وكيف يمكننا أن نساعدهُ يا أبتاه ؟
- لا أعرف حقاً يا بُني .. الأمر يُقلقني كثيراً وأشعر أن رأسي توقف عن التفكير!
- وما رأي الطبيب في أمرها ؟ أعني هل إن هناك أمل في أن تعيش هذه الفتاة ؟
- نعم .. في حالةٍ واحدة ، وهي أن تُرفع الكلية المعطلة وتُبدّل الأخرى الضعيفة بواحدةٍ سليمة ، وهذا يعني إنهُ يجب أن يكون هناك شخص متبرع بكليته !
مشى منتظر قليلاً ثم التفت نحو أبيه وقال :
- سأكون أنا ذلك المتبرع !
- ماذا !؟ لكن يا بُني .. ما الذي تقوله ؟ أنت مازلت شاباً و ......
قاطعهُ منتظر قائلاً :
- ولأنني شاب إذن فأنا أملك القوّة والحيوية التي تمكنني من العيش بكلية واحدة كما ستعيش تلك الفتاة إن شاء الله .
- لكن يا بُني .. إذا كنت تستطيع إقناعي بهذا الكلام فهل ستُقنع والدتكَ بهِ !؟

- اترك هذا الأمر لي يا أبا منتظر ! سيكون كل شيء على ما يرام بإذنه تعالى .
وفي الصباح كانت أسرة الحاج أبو منتظر قد اجتمعت حول تلك المائدة المتواضعة وبينما كانت الأم تصب الشاي في الأكواب صار زوجها يسرد لها قصة زميله المسكين وحالة ابنتهِ المريضة .. بدأت أم منتظر بالتفاعل مع حالة تلك الفتاة خاصة إنها قد ذهبت لزيارتها ورؤيتها عدّة مرات خلال زيارات الأب – أبي منتظر – الى بيت صاحبه أبي ملاذ .

توقفت عن صب الشاي وصارت تمسح دموعها التي حاولت جاهدةً أن تُخفيها لكنها لم تستطع ... لقد كانت مُرهفة الإحساس وذات قلب رقيق وحسّاس جداً وكان منتظر يشابه والدته كثيراً في هذه الصفة بالذات .
استغل منتظر تفاعل والدته مع قضية ملاذ فبادرها قائلاً :
- وأنا سأكون المتبرع يا أم منتظر !
- ماذا ... ما الذي تقولهُ يا ولدي ؟
- وهل أترك الفتاة تموت هكذا يا أماه .. ! ومن ثم إنني بصحةٍ تامة وعالية ولا أظن ان التبرع بإحدى كليتي سيؤثر عليَّ بالدرجة التي تخيفك هكذا .. !
حاولت الأم ولتعلقها الكبير بمنتظر أن تثنيه عما عزم عليه محاولةً إقناعهُ بأن الله لن يترك هذه الفتاة وسيرسل لها من يساعدها .
قال منتظر :
- ولماذا لا أكون أنا من أرسلهُ الله لإنقاذ تلك الفتاة ؟
ثم ما كان منه إلا أن أكمل كلامهُ بمزيد من الثقة بالنفس :
- إذا سمح لكِ قلبك وضميركِ يا أُماه على ترك الفتاة المسكينة ووالدها بهذهِ الشدّة فإنني لا يسمح الدين الذي ربيتماني عليه ولا الأخلاق التي زرعتماها فيّ أن أترك رجلاً مسلماً يغوص في بحر القلق والحيرة هكذا وأنا أقف لأتفرج !
هنا أطرقت الأم برأسها إلى الأرض ثم نظرت إلى ابنها وقالت :
- إمضِ بما عزمت عليه يا ولدي ، وليحفظك الله أنت وتلك الفتاة .

إتجّه الأب مسرعاً نحو جهاز الهاتف ليزف البشرى لصاحبه ، وفعلاً أخبرهُ بالأمر وبما عزم عليه ولدهُ الأكبر منتظر ، وأخذ موعد لزيارته هو وابنه للإتفاق على الأمور القادمة .

كان الرجل وابنته قد هيّئا نفسيهما لاستقبال الضيفين وكانت ملاذ تنظر إلى الساعة بترقب ، سألت والدها قائلة :

- هل إنك متأكد يا أبي إن الأمر كما شرحتهُ لي .. ؟ ألا يمكن أن تكون قد فهمت قصدهُ خطأً .. ؟!

- ماذا تقولين يا ملاذ .. صدّقيني إنهُ قال إن ابنهُ منتظر قد عزم على التبرع بكليته وسيأتي ليقول لكِ ذلك بنفسه .

- لكن يا أبي .. إن ذلك الشاب لم يَرَني يوماً ، فمن أين عرفني وصار لديه ذلك العزم على مساعدتي ؟

تبسّم الأب ثم قال :

- وهل المساعدة تحتاج إلى أن يراك وتريه ؟ هل يريد أن يخطبكِ أم يساعدكِ يا فتاة !

ضحك الإثنان وقطع ضحكهما صوت طرقة خفيفة على الباب ، اتجهّت ملاذ بسرعة لفتحها ..

- آه .. أهلاً بالعم .. تفضل !

بادلها ابو منتظر السلام ودخل إلى البيت أما منتظر فقد كان يسير خلف أبيه بعد أن ألقى التحية على ملاذ التي شيّعته بنظرها إلى أن دخل إلى غرفة الضيوف حيث كان والدها ينتظرهما .

تسمّرت ملاذ في مكانها عند الباب الرئيسي للدار وهي تُحاكي نفسها :

- ما الذي يدفع هذا الشاب الوسيم بأن يُضحّي بحياته وشبابه من أجلي ؟!

في حقيقة الأمر كان منتظر شاباً ملتزماً ووقوراً حيث أنهُ تربى في أحضان والديه الذين كانا شديدي الالتزام بتعاليم ديننا الحنيف وهذا ما أورثوه في نفوس أولادهما وخاصة ولدهما الأكبر منتظر على عكس ملاذ التي كانت تقضي أغلب أوقاتها لوحدها إذ إن والدها وبحكم عمله كان بعيداً عنها بعض الشيء ولا تراه إلاّ مساءاً على مائدة العشاء أما باقي الأوقات فكانت تقضيها أمام جهاز التلفاز وهذا ما أثّر على تصرفاتها كثيراً فأنها توحي إليك عندما تنظر إليها بأنها إحدى بطلات الشاشة بأناقتها وكلامها وحتى ضحكتها .. !

هذا ما جعل منتظر يسرح بفكرهِ بعيداً وهو يجلس على تلك الأريكة أمام ملاذ متسائلاً مع نفسه : هل فعلاً إنني سأتخلّى عن أحد أهم أعضاء جسمي لإجل هكذا فتاة .. ؟!

ظلَّ منتظر صامتاً طوال تلك الجلسة وهو يفكر بمصير هذه الفتاة عندما قاطعهُ والدها قائلاً :

ـ ما بك يا منتظر ؟ لماذا لا تخبرنا بنفسك عن القرار الذي اتخذته وهل هو نهائي أم إنك ما تزال متردداً فيه يا بُني ؟

ـ كلا .. كلا يا عم ، صدّقني أنا لا أريد إلاّ أن تعيش أنت و ابنتك بسعادةٍ وسرور دائم بإذن الله ، لذلك قررت وبكل ثقة ودون أي تردد أن أتبرع لها بكليتي وأظن أنهُ واجبي الشرعي وليس فيه أي تفضُّل أو مِنّة أبداً .

ـ بارك الله فيك يا ولدي ..

لم يستطع أبو ملاذ أن يُكمل كلامه فلقد خنقتهُ العبرة لحرارة الموقف .

الفصل الثاني

جاء اليوم الذي يشدُّ فيه منتظر الرحال مع والدِهِ إلى المدينة المجاورة لمدينتهم حيث ستجرى العملية هناك ، وها هي الأم الحنون تشدُّ على يدي ولدها بيدين مرتجفتين وعينين باكيتين وهي تردد :

- ولدي الغالي .. سأدعو الله بأن يعيدك لنا بالسلامة .

حاول منتظر أن يُهَّدئ من روع والدته وذكرّها بالآية الكريمة (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، وهنا بكت الوالدة بصوت عالٍ ، وهي تحتضن ولدها وتوصي زوجها به وكأنهُ طفلٌ صغير سيفارقها لأول مرة ...!

استقلَّ الاثنان سيارة الأجرة لتُقلّهما إلى منزل أبي ملاذ ، وهناك وجداه هو وابنته على أتم الاستعداد للسفر وفعلاً أتجه الأربعة نحو مكان وقوف السيارات الكبيرة الخاصة بنقل المسافرين إلى المدن الأخرى .

وبعد أن اتخذّ كل منهم مكانهُ في تلك السيارة التي ستتجه بهم إلى المدينة المنشودة كان منتظر قد أخرج كتاباً - كالعادة - ليقرأهُ بدل أن يقضي وقتهُ هذا هباءاً ، حيث إنهُ لم يعتد على تضييع هكذا فرصة سواء أكان في سيارة صغيرة أو كبيرة أو في قطار ، فإن أنيسهُ في الطريق سيكون الكتاب .

كان والدهُ ووالد ملاذ مشغولان في الحديث أما ملاذ فمكانها كان مقابل للمكان الذي جلس فيه منتظر مما هيّأ لها فرصة النظر إليه طوال الطريق !

فكلما رفع منتظر بصرهُ وجدها ترمقهُ بنظرات تجعل دقّات قلبه تتزايد ويديه ترتجفان !

خاطب نفسهُ قائلاً :

- كيف بكَ يا منتظر مع هذا المأزق وكيف ستُخرج نفسك منه ؟!

تحوّل المأزق بعد قليل إلى مشكلة كبيرة عندما أحسَّ منتظر بأن الشيطان بدأ يجول في المكان الذي يجلس فيه الاثنان أي هو وملاذ وإن الأخيرة لا مانع لديها من أن تبقى ترمقهُ بنظراتٍ محرمة طيلة الساعات الباقية من الطريق ! توّسل إلى الله أن يعطيه فكرة تجعلهُ يتخلص مما هو فيه بدون أن يشعر والده ووالد ملاذ بأي شيء ..

فهو لا يستطيع أن يكلمها أو يسألها عن نظراتها تلك ووالدهُ ووالدها يجلسان بقربهما وقد شغلهما الحديث عن ما يدور حولهما !!
وهنا ـ وبعد التوسل بالله سبحانه وتعالى ـ قفزت إلى رأسهِ فكرة نافعة وغريبة في نفس الوقت .
فتح حقيبة سفره ومدّ يدهُ إليها فأخرج منها ورقة وقلم وبدأ يكتب وملاذ تنظر إليه غير مبالية ..
بعد أن انتهى من الكتابة طوى الورقة ثم سلّمها إيّاها قائلاً :
ـ إنظري إلى خطّي .. ألا أصلح أن أكون خطّاطاً ماهراً !؟
ابتسمت ملاذ ومدّت يدها لتأخذ الورقة ، وبدون أن تنتظر فتحتها وبدأت تقرأ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أرجوكِ يا ملاذ ..

تذكري بأنكِ فتاة وبأنني شاب ومهما تكن طبيعة نظراتك هذه لي فإنها أمام الله تعتبر " محرَّمة " لأنه من واجبكِ الشرعي أن تغضّي البصر حتى لا تدعي للشيطان أي طريق يدخل منه .

وأخيراً تذكري قوله تعالى :

((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن))

أخوك المخلص

منتظر

لم تعد ملاذ قادرةً على رفع بصرها من على الورقة بعد أن قرأت تلك الكلمات ، لقد شعرت قبل كل شيء بأن كرامتها قد جُرحت على يد ذلك الشاب وبأنها الآن ذليلةً أمامهُ .
نعم .. فلقد كانت ملاذ ولأول مرة تسمع مثل هذا الكلام بل ولأول مرة تطرق أسماعها تلك الآية ! حيث لا والدٌ حريص وملتزم ولا أمٌ مربية ومرشدة ولا صديقة ناصحة ، كل الذي تعرفه من هذا العالم هو الفن والفنانون ، بل لم يقل لها احد في يوم من الأيام هذا حلال وهذا حرام سوى إن والدها قد جعلها ترتدي هذه القطعة من القماش على رأسها لأنهُ وكما قال لها :
- تقاليدنا ترفض السفور !
والآن يأتي هذا الشاب ليصفعها - بهذه الكلمات - صفعةً قوية جعلتها تفضل أن ترمي نفسها من السيارة على أن تبقى جالسةً أمامهُ وهو ينتظر منها ردفعل على كلماته .
هذا ما كانت تفكر به ملاذ ، أما منتظر فلقد أغلق الكتاب الذي كان يطالعه وأشاح ببصرهِ نحو نافذة السيارة وهو ينظر إلى المروج الخضراء التي ملأت الطريق وراح يردد بعض القصائد الدينية التي كان يحبها كثيراً محاولةً منهُ لتغيير الجو الذي صار خانقاً بالنسبة لهُ وهو ينتظر على أحر من الجمر أن تتوقف تلك السيارة معلنةً عن وصولهم .
ولما أتعبه النظر من النافذة أطرق برأسه لينظر إلى ساعته اليدوية فإذا بها تشير إلى بقاء نصف ساعة تقريباً للوصول . أخذ نفساً عميقاً ثم رفع بصرهُ ليرى حال الفتاة بعد قراءتها لتلك الرسالة فإذا بها قد خفضت رأسها وغسلت وجهها بدموعها!

حينها بدأ منتظر يكلمّ نفسه :
- هل كنتُ قاسياً معها إلى الدرجة التي جرحتُ فيها كرامتها من دون أن أشعر .. أم إنها دموع الندم ؟!

الفصل الثالث

ها هم الأربعة قد نزلوا من السيارة الكبيرة مستقلّين سيارة صغيرة للأجرة ليتجهوا نحو أحد الفنادق حيث سيقيمون فيه طيلة فترة اجراء العملية .
ولمّا كان الوقتُ متأخر والفندق الذي قصدوه كان مكتظاً بالنزلاء فقد أشارإليهم صاحب ذلك الفندق بأن هناك شقة صغيرة في مكانٍ قريب يمكنهم استئجارها لعدّة أيام ...
وفعلاً تم إيصالهم إلى تلك الشقة بعد مناقشات حادّة بين منتظر وأبيه حيث كان بطلنا يرفض هذه الفكرة لما لها من احراج بالنسبة لهُ لوجود تلك الفتاة الشابة معهم لكن أباه أقنعه أخيراً بأنها ليست لوحدها بل إن أباها معها وهذا يعني إنهُ لا يوجد هناك أي إحراج في الموضوع .
وصل الأربعة إلى الشقّة ، كان فيها غرفتان صغيرتان وصالة للجلوس .
قال أبو ملاذ وهو يشير إلى إحدى الغرفتين :
- سنأخذ نحنُ هذه الغرفة وأما أنت يا أبا منتظر فستكون هذه لك ولأبنك العزيز .
لاحظ الثلاثة إن ملاذ طول هذه الفترة صامتة لا تتحدث وقد بدت علامات الكآبة والحزن واضحة على ملامحها !
ظنَّ والدها وكذلك صاحبهُ إن مخاوفها من العملية قد بدأت تظهر وخاصة إنهم الآن في المدينة التي ستجري فيها تلك العملية ، أما منتظر فكان يعرف مصدر ذلك الحزن وتلك الكآبة التي قفزت إلى ملاذ حال انتهائها من قراءة رسالته في تلك السيارة المشؤومة !

كان يتمنى لو تمكن من توضيح الأمر لها وتوضيح السبب الذي دعاه إلى ذلك التصرف ، كان منتظر رغم أسلوبه القاسي في بعض الأحيان لكنه في نفس الوقت ذو قلب رقيق لا يتحمل أن يكون سبباً رئيسياً في حزن أي شخص وخاصة إذا كان ذلك الشخص فتاة يتيمة الأم ومريضة مثل ملاذ .
كان التعب والإرهاق بادياً على الجميع مما حدا بهم إلى النوم مبكراً إذ إن هناك يوماً شاقاً ينتظرهم حيث سيتم البدء بالفحوصات لكلا الطرفين كخطوة أساسية قبل أجراء العملية .

مع أول الفجر استيقظ منتظر على صوت الآذان الذي تعالى في أرجاء تلك المدينة ، نهض وهو يردد الصلاة على محمد وآل محمد وأيقظ والده ليصليّ ..
توضأ منتظر وصلّى ركعتي الفجر وكعادتهِ بعد كل فريضة صار يردد (تسبيحة الزهراء عليها السلام) ثم فتح القرآن ليتلو بعض كلمات الله سبحانه وتعالى ..
استمر بالقراءة حتى سمع صوت حركة في الشقة ، نظر إلى الساعة فوجدها تشير إلى السابعة صباحاً ، أغلق القرآن وقبّلهُ تبركاً وتقديساً ، نظر إلى والده فوجده قد رجع إلى النوم بعد أن أدّى صلاته ... قال في نفسه :
ـ قد تكون هذه الحركة للعم حامد أو قد تكون لملاذ !
وعندما وصل إلى أسم هذه الفتاة اطرق قليلاً .. ردّد الاسم عدّة مرات ثم تحدث مع نفسه مرة أخرى :
ـ مسكينة هذه الفتاة ... لقد سببتُ لها ألماً كبيراً يوم أمس ويجب أن أوّضح لها كل شيء .
خرج من الغرفة فوجد ملاذ أمامهُ قد خرجت توّاً من المطبخ ، نظرت إليه ثم مشت قليلاً بدون أي كلمة وجلست على أحدى الأرائك في الصالة وبيدها كوب من الشاي .
تبعها منتظر ... دخل الغرفة وألقى السلام ، وبصوتٍ ضعيف بالكاد يُسمع ردّت ملاذ التحية ، بادرها منتظر :
ـ هل لي أن أعرف سبب هذا الحزن المفاجئ ؟!
أجابت بحدّة :
ـ أوَتسأل يا منتظر !
ـ هل أنا السبب ؟
ـ أرجوك...دعني وشأني سواء كنت حزينة أم سعيدة فهل الأمر يهمّك ؟!
ـ ولِمَ لا يهمني يا ملاذ ؟ أنا لا أحب أن أكون سبباً لألم أي أحد ..صدّقيني .
ـ إنك قاسي يا منتظر !
قالت ملاذ هذه الكلمات وقد إغرورقت عيناها بالدموع ونهضت محاولةً مغادرة الغرفة ...
ناداها منتظر :
ـ أرجوكِ .. قفي واسمعيني ، فمثلما أبديتِ رأيكِ في الموضوع فلي الحق أنا أيضاً أن أُبدي رأيي فيه .

توقفت ملاذ ونظرت قائلة :
ـ وما هو رأيك ؟
ـ صدّقيني .. أنا ما كتبتُ لكِ تلك الكلمات اثناء جلوسنا في السيارة إلاّ لأنني وجدتك في خطر ويجب أن أساعدك وإلاّ لحدث ما لا يُحمد عقباه !
ـ وما الذي يمكن أن يحدث ؟
ـ اسمعي يا ملاذ ... عندما لاحظتُ انكِ ترمقينني بتلك النظرات لم أهتم في بداية الأمر لكن عندما استمرت الحالة تلك طيلة وجودنا معاً في تلك السيارة شعرتُ حينها بأن الأمر غير طبيعي وبأن تلك النظرات غير اعتيادية أبداً ولا أُخفي عليك فلقد ارتبكت لأنني ولأول مرة أقع في موقفٍ كهذا وارتبكت أكثر عندما خفت صوت الشيطان !
ـ صوت الشيطان ! ما الذي تقصده ؟
ـ إنها الوسوسة يا ملاذ .
ـ ومن قال لك ذلك ؟
ـ الرسول (صلى الله عليه وآله) قال لي ذلك !
ـ ما بك يا منتظر ... لماذا تتكلم بالألغاز والمبهمات ، لماذا لا تكون واضحاً وصريحاً ؟
ـ ليست ألغاز ولا مبهمات بل أنا واضح وصريح فيما أريد قوله .. فلقد قال لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((ما من رجل خلا بإمرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما) !
ـ حسناً وما الذي يمكن أن يقولهُ لك الشيطان حينها ؟
ـ أكيد إنهُ سيحاول إفهامي بأن (نظرات ملاذ هي نظرات إعجاب ومودّة وحب) ولو أعطيه مجال أكثر للاستماع إلى حديثه المعسول ذلك فأنهُ سيجرَّني إلى التفكير بأمور أخرى وضيعة ومرفوضة شرعاً ... لذلك صرتُ أبحث عن طريقة أُبعد بها نظراتكِ عني وبالتالي أُبعد ذلك المخلوق الحقير إبليس عليه اللعنة ، ومن ثمَّ أنا ما خفت على نفسي أكثر مما خفتُ على مصيركِ .. صدّقيني .
ـ وما به مصيري ؟ وهل أُعتبر مذنبة لو أمعنت النظر في شاب أشعرني بطعم الحياة .
قال منتظر محاولاً عدم التأثر بكلامها :

ـ ملاذ .. النظرة إلى الشاب حرام وأعني بها النظرة المقصودة فهي محرمة حسب الآية التي ذكرتها لك في الرسالة ، ثم ماذا تقصدين بكلامك الأخير هذا ؟!
ـ صدّقني يا منتظر .. أنا أعي ما أقول إذ كان كل شيء قبل أن أراك جامداً وليس فيه أي طعم أو مذاق وبعد ذلك اليوم الذي زُرتنا فيه أنت وأبوك شعرت بأن حياتي صار لها طعم خاص .. إنها السعادة التي كنتُ قد حُرِمتُ منها .
قال منتظر وقد وقف مستعداً لترك الغرفة :
ـ أولاً .. هذا الأمر لا يُبرر أبداً نظراتكِ تلك بل يزيد الأمر تعقيداً .. !
ـ كيف ذلك ؟
ـ لأن كلامكِ هذا يُثبت الذنب عليك ولا يبرؤكِ أبداً .. فالنظرة إلى شاب عادي هي محرمة فكيف إذا كان ذلك الشاب يحرّك في داخلك مشاعر العاطفة ؟!
سألتهُ ملاذ بتوتّر :
ـ وثانياً .. ؟!
ـ ثانياً .. وإن كانت كلمة مؤلمة لكني سأقولها لكِ لأنقذكِ من مصائد الشيطان ولأوضح مشاعري الصادقة اتجاهكِ .. أنتِ بالنسبة لي أخت محتاجة إلى مساعدتي فرافقتها لتقديم تلك المساعدة ... أكثر من هذا لا يوجد شيء ، وأما السعادة التي تظنين إنكِ ملكتيها فأنها ـ مع الأسف ـ مُزيّفة وليتكِ تعرفين حقيقة السعادة !

خرج منتظر من الغرفة بعد هذا الحديث تاركاً ملاذ تبحر في مخيلتها بعيداً..تساءلت مع نفسها بعد أن لاحظت إن الشاي قد برد وأصبح بلا طعم :
ـ ماذا يقصد بالسعادة المزيفة والسعادة الحقيقية ؟ وهل فعلاً إنهُ ينظر لي كأخت فقط ؟!

الفصل الرابع

في ظهيرة ذلك اليوم كان الأربعة في مستشفى المدينة لإجراء الفحوصات ، وبعد إجرائها لملاذ ومنتظر معاً قام الطبيب بإعطائهم مدّة أسبوع كامل وبعدهُ فقط يمكن إجراء العملية ..
رأى منتظر إن هذه فرصة أرسلها الله لهُ ليوّضح كثيراً من الأمور لملاذ قبل أن تجري العملية لكليهما .
بعد تركهم المستشفى اتجهوا نحو أحد مطاعم تلك المدينة لتناول وجبة الغداء، وما إن انتهى الجميع من تناول الطعام حتى طلب والد ملاذ من أبي منتظر أن يشاطرهُ لعب البليارد ورغم إن الأخير كان لا يهوى أن يقضي وقته بتلك الأمور الصبيانية إلاّ إنهُ رأى من المحرج أن يرفض دعوة صديقه ، فأتجه نحو صالة البليارد في ذلك المطعم الضخم منصاعاً لرأي صاحبه ... بقى كل من منتظر وملاذ جالسين وكانت ملاذ تحاول أن تبدو طبيعية لكن حركتها وهي تضرب بالشوكة على الإناء الذي أمامها جعل منتظر يشعر باضطرابها فحاول كسر ذلك الصمت المقلق بقوله :
ـ هل مازلت على رأيك يا ملاذ ؟
ـ ماذا تقصد ... لم أفهم !
ـ لقد فكرتُ في كلامك الذي قلتهِ لي صباح هذا اليوم بخصوص ..
(صمت منتظر قليلاً ثم تابع كلامه) بخصوص مشاعركِ تجاهي فوجدتها مشاعر لا صحة لها وغير حقيقية ..
ـ لماذا تحكم على مشاعري الصادقة تجاهك بهذهِ الطريقة يا منتظر ؟
ـ صدّقيني يا عزيزتي أنا لا أنظر إلى مشاعركِ بمنظار سلبي لكن .. هلاّ قلتِ لي متى بدأت مشاعركِ تلك اتجاهي ؟
ـ منذ أول لحظة رأيتك فيها .. أي في المرة الأولى التي جئت بها مع والدك إلى منزلنا .. لقد عشت يا منتظر وحيدة لا أعرف ما معنى الحنان ولا الحب .. أمي ماتت منذ ولادتي ! وأبي لا أراه طوال يومي إلاّ على مائدة العشاء!
لا أعرف أحداً في هذه الحياة غير أُناس مزيفين يأخذون أدواراً كاذبة في تلك الشاشة التي باتت سلوتي الوحيدة ..

كنت أكره الدراسة منذ المراحل الأولى لها وما ان فاتحت والدي بفكرة ترك المدرسة حتى وافق بدون أن ينصحني بكلمة واحدة !
نعم لقد تركت الدراسة ولي من العمر إثنا عشر سنة ومنذ ذلك الحين وإلى هذه الأيام وأنا أعيش بين أربعة جدران .. أتحدث مع نفسي وأحب أناساً مزيّفين لم ألتقهم أبداً ! وعندما رأيتك شعرت بأنني وجدت من سأبثهُ همي وحزني ومن سيُبدل أيامي إلى جنةٍ حقيقية .. آه يا منتظر صدّقني ...
قاطعها منتظر قائلاً :
ـ اسمعي يا ملاذ .. هناك أمور كثيرة يجب أن نتناقش فيها غير لغة الحب هذه التي تتحدثين بها ... فأن الحب ليس كما تتصورين أبداً والسعادة كذلك، فالأفلام والمسلسلات التي عشتِ مع قصصها وأحداثها جعلتك تنظرين إلى الحب بأنهُ ليس إلاّ ذلك الشعور الذي يربط الفتاة بفتى أحلامها، والسعادة ليست إلاّ تلك التي تجمع الفتاة بفارس أحلامها !!
كان كلام منتظر غير مفهوم بالنسبة لملاذ بل إنها صارت ترى كل كلمة منهُ محاولة لجرحها وإهانتها ..
قالت لهُ محاولة إخفاء مشاعرها المجروحة :
ـ أعرف إنك إنسان مؤمن ومتديّن لكن هل المؤمنون لا يعرفون الحب ؟
أجاب منتظر مبتسماً :
ـ وهل الإيمان إلاّ الحب ؟!
ـ ماذا تعني ؟
ـ أنهُ ليس قولي بل قول الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سألهُ أحدهم عن موقف الإيمان من الحب فقال (عليه السلام) : (وهل الإيمان إلاّ الحب) والحديث على وجازتهِ يدلّنا على منزلة عظيمة للحب في رأي الإمام الصادق (عليه السلام) فكأنه يريد القول بأن الإيمان هو الحب كله وأن الحب هو الإيمان كله .. ولكن علينا أن نعرف هذا الحب القدسي الذي يُفسّر الإمام به الإيمان ..
شعرت ملاذ بأن منتظر يحاول التهرب من سؤالها فعاودت السؤال ولكن بصيغة أخرى :
ـ ألم تعرف الحب طوال حياتك يا منتظر ؟
ـ بل أنا منذ صغري عرفتُ هذه الكلمة وصرتُ أعيش معها لحظةً بلحظة.
ـ وكيف .. ومن هي تلك التي بادلتها ذلك الحب ؟

ـ انظري .. ألم أقل لكِ بأنكِ تنظرين إلى الحب بأنهُ فقط ذلك الشعور الذي يربطني بالجنس الآخر !! أنتِ على خطأ يا ملاذ ... عندما أقول بأني عرفت الحب وعشته بكل أبعاده لا يعني إنهُ يجب أن تكون هناك فتاة تبادلني ذلك الحب .. أرجوكِ كوني أكثر تصوّراً لما أريد قوله .. الحب شعور جميل ، حرام علينا أن نحصرهُ بتلك الأطر المادية فقط !
هنا أحمر وجه ملاذ عندما وجدت ان منتظر صار يتكلم بجرءة وإهتمام بالغ ..
أكمل منتظر بنبرة أكثر حدّة تعلن عن الرفض :
ـ إن ما علمّهُ إياك التلفازعن الحب هي معلومات خاطئة لأن هؤلاء (الفنّانين) والذين هم ليسوا بفنانين أصلاً إنما يريدون أن يبثوا سمومهم وقاذورات أفكارهم إلى الفتيات البريئات مثلكِ ولأنكِ بتلك الأفكار الغربية صرتِ مثلهم تظنين أن الحب والعشق كلمات لا يمكن استعمالها إلاّ بين الفتى والفتاة وهذا تشويه للصورة الحقيقية لهذه الكلمة الطاهرة ... والإسلام الذي ننتمي إليه يا ملاذ هو دينُ المحبة الصادقة ، لا يعجبهُ هذا اللون المشوّه من الحب وبالأحرى هذا التدنيس لطهارة الحب ... حب الشهوة الوضيعة والغايات المتدنية .

الحب سامٍ لأنه علاقة بين أرواح فيجب أن يكون شريف الخاتمة ، والشريعة الإسلامية مثالية في جميع أحكامها فيجب أن تكون مثالية في حبها أيضاً .
ـ إذاً كيف يمكن تعريف الحب حسب رأيك يا منتظر ؟
ـ الحب هو ذلك الشعور الأول والصلة الأولى التي تتكون بين العبد وربّه ـ أي بين المخلوق وخالقه ـ لذلك قلتُ لكِ بأني شعرت بالحب منذ صغري لأنني احسستُ بقوة عظيمة تربطني بربي فصرتُ أحبهُ بل اعشقهُ حتى صرتُ مغرماً بهِ .
ـ وهل يعني أنهُ لا يوجد في قلبك غير حب الرب يا منتظر ؟
ـ لم أقل ذلك ... لكن لو كان حبنا الأول لله سيكون كل حب بعد ذلك حُبّاً سليماً طاهراً عفيفاً .. وقد تسأليني : كيف ؟
فأقول لكِ : عندما أحببت الله صرتُ أبحث عن كل من يعشق الله كما أعشقه وبالتالي فلم أحب في حياتي إلاّ مؤمناً محبّاً لله عارفاً بحقّهِ .
نعم يا ملاذ .. المؤمن يكون قلبه رقيقاً وعاشقاً محباً.. فأنا الآن أمامكِ ، أتمنى أن أحب جميع هؤلاء الناس ... أساعدهم وأتحدث معهم وأسمع منهم وأن تكون بيني

وبينهم علاقة محبة وود على شرط أن يكونوا مُحبين لله ومُطيعين لهُ في أمور دينهم ودُنياهم .
وأرجع إلى مشاعركِ اتجاهي فأنتِ تقولين إنكِ منذ اللحظة الأولى التي رأيتني فيها شعرتِ بذلك الشعور الذي أسميتهِ (حباً) وأنا أقول أنه ليس كذلك بل إنهُ (نزوة عابرة) جاءت نتيجة الحصار الذي كنتِ تعيشينه في داخلك والضيق والوحدة ، فأنت بنفسكِ قلتِ بأنكِ ما كنت تعرفين غير أُناس لم تلتقِهم أبداً إلاّ عبر شاشة التلفاز وفجأة تجدين شاباً أمامك على أرض الواقع وقد يكون أول شاب تلتقين به فعلاً وليس في الأحلام فتحولت كل إحساساتك وتصوراتك من أرض الخيال إلى أرض الواقع فظننتِ إنك تحبين ذلك الشاب الذي هو أنا ... !!
وهنا أسألك هذا السؤال : ما الذي عرفتِه عني منذ أول وهلة ، هل أنا متواضع أم متكبر ؟ مجنون أم عاقل ؟ مثقف أم جاهل؟ ها..تكلمي يا ملاذ؟

(تصمت ملاذ بدون أي جواب) ويكمل منتظر :
ـ أنتِ لم تميّزي في تلك اللحظة غير ملامحي الظاهرية ، بل حتى لم تعرفي حينها لماذا كُنت مصمماً على مساعدتك ولأي غرض .. ألا يمكن أن يكون لغرض دنيوي أو شخصي مثلاً ؟! فكيف شعرتِ بذلك الإحساس بدون أن تعرفي أي شيءعني سوى شكلي الظاهري ؟! فهذه يا عزيزتي كما قلتُ لكِ (نزوة) تَدخّلَ فيها الحصار النفسي
الذي كنتِ تعيشينه وكذلك فالتدخل الأكبر كان من قبل الشيطان الذي كان ينتظر الفرصة بعدما هيأ لكِ من أجواء الإغواء ما فيه الكفاية طوال هذه السنين ـ من خلال تلك الشاشة ـ فأنتقل ومنذ أول فرصة إلى تطبيق هذه الأوهام عليك بدون أن تشعري ، عندما أوهمكِ بأنك وجدتِ الحبيب الواقعي وفارس الأحلام كما يحدث في المسلسلات والأفلام !
ـ إذاً يا منتظر تريد أن تقول لي بأن هذه المشاعر مجرد نزوة عابرة ستنتهي يوماً ما ، إذاً متى يكون الحب صادقاً وحقيقياً لا تتدخل فيه النزوات أوالشياطين ؟!
ـ سؤال مهم وجميل في نفس الوقت ، اسمعي يا ملاذ : إن الإنسان مجبول منذ فطرته على استحسان (الكمال) فكلما كان الشيء كاملاً أحببتهِ أكثر وكلما كان العمل كاملاً لاقى الاستحسان والقبول ، وليس الحب شيئاً جزافاً يُكال بالمكاييل ، ولا ينشأ مصادفةً من غير سبب بل كما قلت أنهُ الشعور الرائع الذي ينتج من

انجذابنا للأشياء الكاملة فإذا نظرنا للحب من هذه الناحية الواقعية سنجد إن أول وأكثر من يستحق حبنا هو (الله) لأنهُ غاية الكمال والمتنزّه عن أي نقص ولأنه الكامل المطلق الذي يجب أن يُحب ، ثم من يستحق حبنا من بعد الله سبحانه وتعالى هم أولياؤه الصالحون لأنهم عشقوه وأحبّوه فاتصفوا بصفاته الكاملة وصاروا وجه الله في الأرض .. فتجدين إن فلاناً صار عاشقاً ولهاً برسول الله (صلى الله عليه واله) ، وثانياً أحبّ كمال وجمال يوسف (عليه السلام) فصار يتغنى بذلك الجمال الإلهي ، وثالثاً جذبتهُ شخصية الإمام علي (عليه السلام) وشجاعته وعدالته فراح يترنم بهذه الصفات ويمدحها ، ورابعاً عشق الزهراء (سلام الله عليها) لأنها من العفّة والطهارة مما لا نجدهُ في امرأة أخرى ، وآخر تعلّق قلبه بطاووس أهل الجنة ويوسف آل محمد (الإمام المهدي) روحي فداه .. فصار ذائباً في حبهِ ومتيماً به .

ويؤكد كلامي هذا هو قول الرسول (صلى الله عليه واله) :
((أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبّوا أهل بيتي لحبي)) وقد أخرج هذا الحديث جمعٌ من أئمة الحديث ورواته من الفريقين ولو تمعّنا في هذا الحديث الشريف لرأينا إن الرسول (صلى الله عليه واله) يجعل حبهُ إمتداداً لحب الله ويجعل حب أهل بيته امتداداً لحبه الذي هونابع من حب الله ... إذاً يبقى المصدر الأول هو (حب الله) وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((القلب حرم الله ، فلا تُسكن حرم الله غير الله)) والتعبير عن القلب هنا بأنه ((حَرَم)) هو تعبير دقيق جداً ، فإن الحرم منطقة آمنة ومُغلقة لا يدخلها غريب فكذلك القلب حرم الله الآمن لا يدخلهُ حب آخر غير حب الله إلاّ أن يكون ذلك الحب في امتداد حب الله كما ذكرتُ لكِ قبل قليل ..

لذلك حتى حبّنا لمن حولنا من الآباء والأمهات والأخوة والأقارب يجب أن يكون مصدره هو ((حب الله)) أي أن نحبهم في الله أما إن كانوا يسيرون في الاتجاه المعاكس أي في طريق الشيطان ـ والعياذ بالله ـ فعلينا أن نكون حذرين في حبّنا وودّنا لهم ماداموا من المبغضين عند الله تعالى فيجب حينها أن نقلّص من حجم الحب والود لهم إلى أن يعودوا إلى درب الله ..

فليس للمؤمن أن يرسل عواطفه كما يشاء ، وأينما يشاء ، ولا أن يمدّ علاقاته وميوله كما يريد ، وإنما يجب عليه أن يجعل حبهُ لله هو الحاكم في هذه العلاقات والميول بشكل دقيق إن كان صادقاً في حبه لله ..

ـ لكن ألا ترى يا منتظر إن اخلاص الحب لله شيء صعب !

خاصةً إذا نظرنا إلى فطرة الإنسان وطبيعته فإنهُ وكما قلت أنت في بداية الحديث بأنه مجبول على حب الجمال والكمال ، كما إن الله فطر الإنسان على حب أشياء كثيرة ، فكيف يجمع الإنسان بين هذه الفطرة وبين لزوم إخلاص حبّه لله ؟!

ابتسم منتظر ثم أجاب :

ـ إن إخلاص الحب لله يا ملاذ ليس بمعنى التنكّر للفطرة ، لا .. أبداً !وإنما هو بمعنى توجيه الحب والكره من خلال ما يحب الله تعالى وما يكرهه .. فنحب الذين أحبهم الله وأحبوه ونبتعد عن الذين عصوا الله وأغضبوه .

وأخيراً اسمعي هذا النص الرائع الذي قرأته في كتاب (بحار الأنوار) الجزء السبعون وحفظته على ظهر قلب لما فيه من تعبير جميل ووصف لصورة العلاقة المتبادلة بين الله تعالى وعبده المخلص وإليك هذا النص : ((كان فيما أوحى الله تعالى إلى داوود (عليه السلام) : يا داوود أبلغ أهل الأرض إني حبيب من أحبني وجليس من جالسني ، ومؤنس لمن آنس بذكري ، وصاحب لمن صاحبني ... من طلبني بالحق وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني !فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها ، وهلّموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي ... وآنسوني أؤنسكم وأُسارعُ إلى محبتكم)) .

أغرورقت عينا ملاذ بالدموع وهي تستمع إلى ذلك الخطاب الإلهي وتلك الكلمات الربّانية ..

وتمنّت لو إن منتظر يستمر في حديثه هذا فلقد شعرت إن هذه الكلمات الأخيرة التي رددّها منتظر هي نداء من الله لها لئن تدخل حظيرة قدسه وجلاله وتتذوق حلاوة الحب الإلهي بعد سنوات من الغفلة والضلال !

لقد شعرت ولأول مرة بأن قلبها تعلّق بالخالق بعد أن ابتعد عنهُ كل هذه السنين .

قام منتظر من مكانه يبحث عن الرجلين .. أما ملاذ فلقد استغلت ذهاب منتظر وبقائها لوحدها فصارت تردد من أعماق قلبها إسم الحبيب الجديد .. الله ...الله ... الله

الفصل الخامس

مضت أيام وصار موعد العملية يقترب ... وخلال هذه الفترة لاحظ والد ملاذ تغيراً كبيراً طرأ على سلوك ابنته !
فلقد صارت قليلة الجلوس أمام جهاز التلفاز كما لاحظ تغيرات أخرى كالالتزام بطريقة لبس الحجاب والجلوس فترات طويلة وحدها وكأنها تفكر في مسألةٍ مستعصية !
في الحقيقة كانت ملاذ تفكر كثيراً بكلام منتظر الذي ما إن وجد فرصة حتى صار يحدثها بحقائق كثيرة يعرف تمام المعرفة إنها جاهلةً بها .
حدَّثها طويلاً عن الحجاب ووجوب الالتزام به شرعاً ، وبأنهُ هوية المرأة ورمز لعفّتها وشرفها فبعدما كانت لا تهتم سواء ظهرت خصلتين أو ثلاثة من شعرها نراها الآن كثيرة التفحص لحجابها لئلاً تكون شعرة قد خرجت من هذه الجهة أو تلك !

كانت ملاذ تتمنى أن تُخبر منتظر عن أمرٍ لم يتكلم عنهُ طوال هذه الأيام ...
فلطالما تكلّم عن معنى الحب الحقيقي وعن معنى هذه الحياة وعن الأخلاق والحجاب ووجوب محاربة الشيطان والهوى لكنهُ إلى الآن لم يتكلم لها عن العلّة والحكمة من عبادة الله فلطالما شاهدته ملاذ وهو يصلّي ويُطيل في سجوده ويكثر من قرآتِه للقران ، فكم كان يرف قلبها حينها نحو الصلاة وقراءة القران في حين أنها لم تجرب ولو لمرة واحدة أن تؤدي تلك الأعمال !
بل لم يحرضها أحد على أن تؤدي ما يؤديه منتظر الآن ..
كان الأخير يعرف إن ملاذ تجهل هذه الأمور المهمة لكنهُ كان ينتظر أن تصارحهُ هي بهذا الأمر حتى يتأكد من إنها بدأت تقترب من الله فعلاً وبأنها بدأت تنظر للحياة بنظرةٍ أخرى ، نظرةٍ ثاقبة تجعلها تُبصر الأمور على حقيقتها.

وإذ لم يبقَ على موعد العملية سوى يومين فإن ملاذ قررت أن تُخبر منتظر بما يجول في خاطرها ، وفعلاً ففي موعد صلاة المغرب حيث كان منتظر يستعد للوضوء خرجت ملاذ من غرفتها بعد أن سمعت صوت ماء الحنفية يجري ، ووقفت تنتظر أن يُكمل منتظر وضوءه ، إلتفت وهو يردد بصوتٍ خافت

((اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك والجنة)) وما كاد أن ينتهي من ترديد هذا الدعاء المستحب حتى لاحظ وقوف ملاذ عند باب غرفتها فألقى التحية عليها فردّت بأحسن منها ثم قالت :

ـ في بالي أمرٌ يحيرني أريد أن أتناقش فيه معك يا منتظر .

ـ على الرحب والسعة ... لكن ألا يمكن الانتظار حتى انتهي من صلاتي ؟

أطرقت ملاذ قليلاً ثم قالت :

ـ إنهُ بخصوص الصلاة ... ولن آلخذ من وقتك الكثير .

ـ حسناً .. اسألي مابدا لكِ ...

قال منتظر هذه الجملة وهو يهم بالدخول إلى غرفة الجلوس ، وتبعتهُ ملاذ وجلست على الأريكة المقابلة للأريكة التي جلس عليها هو .. سألها قائلاً :

ـ ما هو الأمر الذي يشغلك بخصوص الصلاة ؟

ـ إنه لا يشمل الصلاة فحسب ، بل يشمل معنى العبادة على الإطلاق ..

ـ وما بها العبادة .. وأي مشكلة تواجهينها في هذه الكلمة ؟

ـ لماذا أراد الله منّا أن نَعبدهُ بالصلاة والصوم وقراءة القران وغيرها .. ألا يكفي أن نحبه ونحب من يحبه ؟ ألا يكفي للفتاة أن تتحجب وللفتى أن يغضّ البصر ؟ ألا يكفي للأم أن تقوم بتربية أولادها تربيةً حسنة وللأب أن يأتي بالرزق الحلال لأولاده مجتنباً السرقة والغش والخداع ؟

لماذا يجب أن يلتزم الإنسان بهذه الأمور وفوق هذا أن يُصلّي ويصوم ويحج ويقرأ القران ويدفع الزكاة وغيرها ... ؟!!

ـ نعم يا ملاذ .. فهمتُ قصدك ، أنتِ تتساءلين عن الحكمة والسبب في إلزام الإنسان بالعبادات ووجوب القيام بها .. صح ؟

ـ نعم .. بالضبط .

ـ حسناً ... سوف أبدأ معكِ بدايةً سهلة إن شاء الله حيث سأعدّد لك أقسام العابدين ، فهم ثلاثة ...

القسم الأول / يعبدون الله رهبةً منهُ وخوفاً من عقابه !

والقسم الثاني / يعبدون الله طمعاً في ثوابه وهي جنّة الخلد .

والقسم الثالث / يعبدون الله ليس طمعاً ولا خوفاً وإنما حُبّاً به واعترافاً بحقّه .

وكمثال على القسم الأخير هو مناجاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لربّه بالقول : ((إلهي .. لم أعبدك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)) .

والإمام علي (عليه السلام) يقصد هنا أنهُ حتى لو لم تكن جنة يُثيب الله بها ولا نار يعاقب الله فيها من لا يعبده ، حتى لو لم يكن هناك هذا الثواب وهذا العقاب بل وحتى لو لم يوجب الله العبادة على خلقه لكان (عليه السلام) قد عبدهُ لأنهُ أحبه وعرفه فوجدهُ أهلاً لأن يُعبد.. ولِم لا ؟ وهو المنُعم والواهب والخالق والرازق ....

وهذا بالنسبة لعلاقة الناس بربهم، أما بالنسبة لأمر الله لهم بعبادته فهوفي قوله تعالى : ((وما خلقتُ الجن والأنس إلاّ ليعبدون))

وفي الحديث القدسي يقول تعالى : ((كنتُ كنزاً مخفياً فوددت أن أعرف فخلقتُ الخلق لكي أُعرَف)) .

إذاً مرة يشير الله إلى السبب من الخلق وهو ((ليعبدوه)) ومرة أخرى يشيرإلى نفس الأمر وهو ((ليعرفوه)) فما وجه الترابط بين معرفته سبحانه وبين عبادته؟

قالت ملاذ وقد بدت متحمسة للإجابة :

ـ أظن إنهُ لا يمكن للإنسان أن يعرف الله إلاّ إذا عبده ...

قال منتظر مبتسماً :

ـ بل إنه لا يمكن للإنسان أن يعبد الله إلاّ إذا عرفه .

ـ ماذا تقصد .. أوضح لي الأمر رجاءاً .

ـ اعني إن العابدين هم الذين عرفوا الله فعبدوه ، فهناك من عرف إن الله وعد بالنار كعقوبة للمشركين به فخاف من تلك العقوبة وإتجه إلى العبادة وهذا نوع من المعرفة، وآخر عرف إن الله سيُثيب بالجنة لمن يطيعه فأخذ يعبدهُ ويطيعهُ متمنياً دخول تلك الجنة وراغباً في ذلك الثواب وهذا نوع آخر من المعرفة ، وهناك من عرف الله حقّ معرفته كالأنبياء والأوصياء والأولياء الصالحين فأخذوا يعبدون الله لأنهم عرفوه حقّ معرفته فوجدوا أنهم يجب أن يعبدوه حتى وإن لم يأمرهم بذلك .. وهذه هي أفضل العبادات وتسمى (عبادة الأحرار) .

ـ وهل هناك من عبد الله دون معرفته ؟

ـ لا طبعاً ..

ـ إذاً هل كل الذين يصلّون ويصومون ويحجون ويدفعون الزكاة .. كلهم قد عرفوا الله ؟!
ـ أيضاً لا .. لأن هناك من يقوم بهذه الأعمال ليس لله بل للناس !
ـ كيف هذا ؟
ـ إنهُ المرائي يا ملاذ ، فهو لم يعرف الله أبداً لذلك لم يحبه ولم يخف عقابه ولا يرجو ثوابه !
ـ وماذا نعني بالمرائي ؟
ـ إنهُ الذي يُرائي بأعماله أمام الناس فنراه يقوم ويقعد في صلاته ليُري الآخرين إنهُ يصلّي حتى يُرضيهم عنهُ وليكسب موّدتهم واحترامهم وليعتبروه إنساناً متديّناً صائماً ومصلياً !!
وهذا حكمهُ حكم من أشرك بالله فراح يعبد الناس بحجّة عبادة الله وراح يتخذ من الصلاة وغيرها حجة وذريعة ليفوز من خلالها برضا من حوله لا أكثرولا أقل !
وقد ورد ذكر المرائي في القرآن الكريم بقوله تعالى : " وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى يُرائون الناس " !

وروي فيما معناه : يأتي أناس يوم القيامة أعمالهم كالجبال فيأمر الله بهم إلى النار فتتعجب الملائكة وتسألهم عن ذلك فيقولون : كنا نعمل لغير الله !
قالت ملاذ وقد صارت الأمور شُبه واضحة لها :
ـ إذاً يا منتظر .. ليس المهم أن نستكثر من الصلاة والصوم وباقي العبادات بل المهم (النيّة) في كل هذه الأعمال بأن تكون خالصةً لله تعالى لاغيره .
ـ أحسنتِ ، فما الفائدة إن كنتُ أصلي وأؤدي بقية الواجبات وأنا أصلاً لا أعرف الله ..!
فالنقطة المهمة في العبادة إنني عرفته فعبدته لأنه وكما جاء في الحديث القدسي .. ((خلقتُ الخلق لكي أُعرف)) ومعرفتي لله تتم بإخلاص النية لهُ سبحانه وليس لغيره .
يعني إنني أؤدي صلاتي سواء رآني إنسان أو لم يرني وسواء كان هناك أحد معي أثناء الصلاة أو لم يكن .. فإن الله يطلّع عليّ في كل وقت وفي كل مكان فلتكن صلاتي ونُسُكي لله رب العالمين .
وبعد هذا يا ملاذ يجب أن نتفكر في أمر مهم ، وهو إن الله كان يستطيع أن ينزل الآية ((وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون)) ولا يُنزل غيرها ..

أيّ إنه كان بإمكانه أن يعطينا سبب الخلق وهو (العبادة) ويتركنا !
حينها ليعبد من يعبد وليكفر من يكفر ففي النهاية يعدُّ للعابدين الجنة وللكافرين النار .. لكنهُ عز وجل لم يأمرنا بالعبادة واكتفى بذلك فقط ، بل أوضح لنا إن هناك ثواباً لمن يقوم بالعبادة والطاعة وعقاباً لمن
يتهاون بها وينكرها ..
أيّ إنهُ تكرّم وتفضّل علينا ولم يتركنا هكذا بل وعدنا بالجنان وهو
مستغنٍ عن أن يعدنا بأي شيء لأنهُ الخالق والقادر والغني عن أي أحد فعباداتنا لا تزيدهُ شيئاً وكفرنا لا ينقص من خزائنه شيئاً ..
ورغم ذلك لم يرد لنا الضلال ولم يأمرنا ويتركنا .. بل جعل لنا أمور تحبب إلينا عبادته وتنفيذ أوامره ، وأوضح لنا في المقابل ما يشملنا من عقاب لولم نرضخ لتلك الأوامر وهو أيضاً مستغنٍ عن توضيح ما سيلاقينا من عقوبة فهو قادر على معاقبتنا دون تعريفنا بذلك العقاب .. !

ـ إذاً لماذا أوضح لنا هذه الأمور ؟
ـ لأنهُ يا ملاذ (الودود العطوف) على عباده فهو أعطف على العبد من أمه !
وهو الكريم الرحيم الذي بلغت رحمته كل شيء ، ووسعت كلّ مخلوق .
وبعد هذا أفلا يستحق أن نشكره ؟ وبعد هذا ألا يكون مستحقاً لأن نعبدهُ ولو بتأدية الصلاة اليومية ؟ وانظري إلى عطف الله ورحمته وكرمه بحيث يقول في كتابه العزيز : ((لئن شكرتم لأزيدنكم))، فهو يحبب إلينا شكر النعمة ويخبرنا بأننا لو شكرناه سيزيدنا وكأننا نحنُ المتفضلون عليه وليس هو المتفضل علينا !
قالت ملاذ وقد خفضت رأسها محاولةً إخفاء دموعها :
ـ إنهُ فعلاً أعطف علينا من آبائنا يا منتظر .. فهذا أبي لم يكلّف نفسهُ مرةً واحدة أن يجلس معي ويعلّمني مالا أعرفهُ من أمور ديني ، فإذا به جلَّ عُلاه بعطفه وحنانه يرسل لي من يعلمني ويعرفني به سبحانه .
نعم يا منتظر لقد أرسلك الله لي ليس لتجعلني أستمر في الحياة من خلال تبرعك لي بأحدى أعضاء جسمك بل أهم من هذا إنهُ أرسلك لي لتُفهمني معنى هذه الحياة .. لتُفهمني لماذا أوجدنا الله على هذه الأرض .. هل لنأكل ونشرب وننام ..أم لهدفٍ أخر أرادهُ الله منّا عندما وهبنا هذه الحياة .
كم أنت عطوفٌ يا ربِّ .. فرغم إنني حُرِمتُ حنان الأم وعطفها لكنني لم أُحرم عطفك وحنانك ، ورغم إنني قضيتُ عشرين سنة من عمري في غفلةٍ عنك إلاّ

إنك لم تشأ معاقبتي ولم تنسني رغم نسياني لك ..فأرسلت لي من يُخرجني من الظلمات التي كنتُ أعيشها إلى النور الذي أردتني أن أبصرهُ يا ربِّ ..
والآن يا منتظر هلاّ بدأت بصلاتك التي تأخرت بسببي وهلاّ سمحت لي أن أصلّي معك اليوم وستكون أول مرة أقف فيها بين يدي خالقي .. فأنا لا أعرف كيف أؤديها وكُليّ أمل أن تعلمني إياها .
ـ حسناً يا ملاذ .. اذهبي للوضوء الآن ...
صمت منتظر قليلاً ثم قال :
ـ لكنكِ لا تعرفين الوضوء أيضاً ؟
ـ لا .. لا يا منتظر لقد رأيتك أنت ووالدك أكثر من مرة تتوضأان أمامي وحفظت الوضوء وكذلك حفظتُ ما أقول فيه ، انتظرني قليلاً سأتوضأ وآتي حالاً !
أسرعت ملاذ لتتوضأ والدموع لا تفارق عينيها فهاهي بعد دقائق ستلتقي بسيدها ومولاها في أول لقاء من خلال تلك الوقفة الجليلة .
عادت بعد انتهائها من الوضوء فوجدت إن منتظر قد أخرج سجادة والدهُ المخصصة للصلاة وفرشها خلف سجادته وهو يقول لها :
ـ إن المرأة عليها أن تصلي خلف الرجل وليس بجانبه أو أمامه .. هذا ما علمّنا إياه الشارع المقدس ..
صار منتظر يشرح لها أهم الأمور المتعلقة بالصلاة قبل أن يشرعا بتأديتها ،ثم وقف مستقبلاً القبلة وصار يردد بصوتٍ مسموع وكانت هي تردد معهُ ، ومع كل كلمة تصعد إلى الخالق كانت هناك دمعة تنزل من عينها معبّرة عن فرحة اللقاء ..
شعرت وهي تقف بين يدي الله بأنه الآن فقط صار راضياً عنها والآن فقط سيبادلها الله سبحانه وتعالى ذلك الحب الإلهي الذي يحصل بين العبد وربه ، تمنّت حينها لو إنها تستطيع أن تصرخ بكل ما أتاها الله من قوة لتقول له: (أحبك يا ربِّ) .

الفصل السادس

كانت ملاذ بين فترة وأخرى تشعر بالألم الناتج عن مرض وضعف كليتيها ، كان والدها ووالد منتظر وكذلك منتظر يحاولون تهدئتها ويؤكدون لها بأن كل هذه الآلام ستنتهي بعد أجراء العملية ..
أما اليوم فقد بدت متألمة أكثر من ذي قبل .. ألم لا يضاهيه ألم .. أنهُ ليس وجع المرض بل إنه وجع الندم وألم الحسرة ، إنهُ يضاهي ويفوق كل الآلام .. فأوجاع الروح ليست كأوجاع الجسد أبداً .. !
في تلك الليلة التي تفصلها عن يوم العملية ساعات محدودة فقط كانت فتاتنا مستلقية على سريرها تكلّم نفسها دون أن يسمعها أحد ...
ـ آه يا ملاذ .. غداً ستكونين على سرير العمليات حيث ستكون روحك بين الأرض والسماء ! بين الموت والحياة !
وعندما تخيلت الصورة تلك أجهشت بالبكاء وبدون أن تشعر صارت تطلق صيحات متكررة وتضرب برأسها على مقدمة السرير ..
ـ ويلٌ لي ماذا سأقول لربي غداً إن انتقلت إلى جواره ؟ آه يا نفسي كم خدعتني !
شعرت ملاذ إن الموت صار يطوّق رقبتها بذراعيه ، بدأت بالصراخ والعويل وهي تقول :

ـ ارحمني يا رب .. أعفُ عني .. سامحني ! آه يا ويلي !!
دخل والدها مسرعاً إلى الغرفة بعد إن سمع صراخها ، أما منتظر ووالدهُ فكانا يقفان خارج الغرفة ينتظران معرفة سبب هذا الصراخ !
ركض والدها نحوها محاولاً تهدئتها :
ـ ملاذ .. ما بك ؟ أجيبيني بالله عليك !
رفع الغطاء عن وجهها فإذا بالدموع قد غسلت وجهها الذي لطمته حتى صار أحمر اللون !
تعجب الأب من هذا المنظر ، لم يعرف ماذا يقول !
أما هي فلقد صمتت بعد أن انتبهت إلى نفسها ، ضمّت وجهها بين طيات الوسادة محاولةً إخفاء حالتها ودموعها عن أبيها الذي حاول جاهداً معرفة الأمر لكن بدون أي نتيجة !
خرج إلى الاثنين اللذين كانا ينتظران في الخارج وقد أخجلهُ الموقف فهو عاجز عن معرفة ما يعتري ابنته .

سأله صاحبه عن الأمر فأجاب :
ـ أظن أن خوف ملاذ من نتائج العملية وخاصةً إنها اقتربت جداً منها ولا يفصلنا عنها سوى هذه الليلة هو الذي جعلها تمر بحالة من الهستريا !
تعجبَّ منتظر من هذه الطريقة التي يتكلّم بها الوالد عن ابنته ! قال بشيء من العصبية :
ـ هستريا ! ماذا تقول يا عم ! إنها حالة تصيب المؤمنين حينما يدنو منهم الموت أو عندما يخافون من دنّوه .. حالة من تأنيب الضمير والندم ..
كان منتظر يحاول في هذه الكلمات أن يُفهم أبا ملاذ بأنهُ مقصّر تجاه ابنته ، لكن الأخير قد تجاهل الأمر ولم يُبدِ أي اهتمام لحديث منتظر !
كان الوقت يسير ببطء .. نظرت ملاذ إلى الساعة كانت تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل ، شعرت أنها بحاجة إلى أن تتكلم مع منتظر .. فالنوم قد طار من عينيها تماماً ، تساءلت :
ـ هل هو مستيقظ الآن ؟! قد يكون النوم طار من عينيه هو الآخر للتفكير بعملية يوم غد فهي لا تشكل خطراً عليَّ فقط فهو يُمثّل الطرف الآخر من العملية .
وفي الحقيقة كان منتظر قد أصابه الأرق هو الآخر ولا يشعر بأي نعاس ! كان يفكرّ بما أصاب ملاذ في أول الليل ..
سمع صوت وقع أقدام في الشقة ، خرج مسرعاً نظر إلى داخل غرفة الجلوس فلم يجد أحداً ، اتجه نحو المطبخ وجد ملاذ قد أسندت رأسها على مائدة الطعام الموضوعة في وسط المطبخ :

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. هل أنت مستيقظ يا منتظر ؟
ـ نعم يا ملاذ .. لقد أصابني الأرق وطار النوم من عيني !
ـ وأنا كذلك .. برأيكَ لماذا ؟
ـ لقد أقلقني صراخكِ غير الطبيعي .. هذا سبب أرقي ! وأنتِ ؟
ـ أنا .. أنا (تلكأت ملاذ بالإجابة عندما تذكرت موقفها ذاك)
ـ ما بكِ يا ملاذ .. تكلمّي ! هل يقلقك أمر العملية ؟
ـ جداً !
ـ ((قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)) .
ـ أنا أعرف ذلك يا منتظر .. لكن ...

ـ لكن ماذا ؟
ـ إن نتيجة العملية أما النجاح فأعيش عمراً آخر ، أو الفشل فأموت !
ـ لا تقولي هذا .. كوني متفائلة .
ـ إنني أتعذب يا منتظر ، ضميري يؤنبني ، ماذا سأقول لخالقي لو سألني عن العشرين سنة التي مضت من عمري !
فيوم أمس فقط بدأت بالصلاة ، وقبلها بأيام قليلة بدأت بالتزام الحجاب بالشكل الصحيح و ..
قاطعها منتظر قائلاً :
ـ ألم تعترفي بنفسكِ قبل أيام بأن الله أرحم الراحمين ؟ أو لم تستشعري تلك الرحمة وذلك العطف ؟ لماذا أنت خائفة إذاً يا ملاذ ؟ ثم إنك لم تقترفي تلك الذنوب طوال هذه السنوات عن قصد .. بل إنكِ كنتِ جاهلةً بعواقبها .. لأنهُ لا يوجد من يوّضح لكِ الأمور ، والآن بعد أن عرفت بها لم تقصّري في تأديتها سواء كانت هذه التوبة بالأمس القريب أو البعيد ...
المهم إنكِ لم تكابري ولم تُعاندي بل استغفرتِ الله واستقبلتِ هدايته ،
فأنت الآن من التائبين إن شاء الله ، فالتوبة تصح من العبد عندما يندم على فعلته ويستغفر الله منها ويعده على عدم معاودتها مرةً أخرى ، وأنتِ قمت بهذه الأمور الثلاثة (الندم والاستغفار ومعاهدة الله) وفوق هذا صارت دموعك لا تفارقك .. فالبكاء يا ملاذ يطهّر القلب ويقرّب من الرب .

وبعد هذا أفلا يغفر الله لكِ ؟! حاشاهُ يا عزيزتي ..
فلا تظنيّ بربكِ سوءاً إنهُ يريدنا حينما نخاف عقابه أن نرجو مغفرته في نفس الوقت لأنه ((لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون))
وأنتِ الآن قد تُبتِ إلى الله من ذنوبك ويقول الله في محكم كتابه العزيز : ((إن الله يحب التوابين)) ، وهذا يعني إنهُ سبحانه لم
يغفر لكِ فحسب بل إنهُ الآن يحبك .. لأنكِ أصبحتِ من التوابين والمتطهرين فهنيئاً لكِ يا ملاذ فوزك برضا الله ومحبته .

الفصل السابع

دخل منتظر غرفة العمليات بقلبٍ ثابت وإرادة قوية .. بدأ الطبيب بإعطائه المخدّر (البنج العام) ثم دخل الأطباء الآخرون تلك الغرفة لأجراء عملية استئصال إحدى الكلى من جسده .
كانت ملاذ تشهد هذه الحالة حيث إنها مع والدها ووالد منتظر ينتظرون انتهاء عملية الاستئصال لتبدأ عملية الزرع ..
حيث سيتم زرع كلية منتظر المستأصلة في جسم ملاذ بدل كليتها شبه المعطلة .
قبل انتهاء العملية بفترة قليلة أُدخلت ملاذ إلى الغرفة المجاورة ليبدأ التخدير التام لها هي الأخرى .
تم استئصال الكلية من جسم منتظر وانتهت العملية بسلام والآن جاء دور ملاذ .
امتلأت الغرفة بالأطباء وقبل أن تفقد ملاذ وعيها تحت تأثير (البنج) كانت تردد ما علمّها إيّاه منتظر :
((إلهي إن لم أكن أهلاً لبلوغ رحمتك .. فإن رحمتك أهلٌ لبلوغي .. لأنها وسعت كل شيء)) .
الوالدان في الخارج كل منهما ينتظر نتيجة فلّذة كبده !
نادى الطبيب :
- أين والد منتظر ؟
جاء الوالد مسرعاً :
- نعم يا دكتور .. ها أنذا ... كيف حال ابني ؟
- الحمدُ لله .. لقد استعاد وعيه تستطيع رؤيته الآن .
دخل الوالد وعيناه مغرورقتان بالدموع وهو يحاكي ولده وكأنهُ يُحاكي طفلاً ذا خمس سنوات !
- كيف حالك أيها البطل الشجاع ؟
كان منتظر يشعر بألم شديد لم يكن يتوقعه ! ما الذي يجري له ؟ ما هذه الضربات المؤلمة التي تدق في جسمه ؟ إنه يشعر بارتجاف ورعشة بين فترةٍ وأخرى ، وغشاوةٍ كالسحابة السوداء تحيط ببصرهِ فتمنعه من مواصلة فتح عينيه !

تكلّم مع نفسه :
ـ قد يكون هذا جرّاء المخدر .. لكن ؟!
صمت منتظر وهو يشعر إن الألم يزداد شيئاً فشيئاً ،تساءل مع نفسه مرة أخرى:
ـ هل أُخبر الطبيب بالأمر .. لا .. أكيد إن الأمر طبيعي وهو يحصل لكل مريض يخرج من صالة العمليات .
تركه والده واتجه الى حيث يقف ابي ملاذ منتظراً نتيجة ابنته..
بعد اكثر من ساعة سمع منتظر وقع أقدام أدار ببصره لينظر من القادم ..
الغشاوة مازالت في عينيه ، نعم إنه يرى الآن بشكل أوضح بعض الشيء .. لقد ميز القادم ، إنه أبوه ..
ـ ولدي منتظر .. الحمدُ لله ، نجحت العملية وملاذ بخير الآن ، آه ..
الحمدُ لله على سلامتها وسلامتك أيها الغالي .
مضى يوم على العملية ، ملاذ تزداد تحسناً أما منتظر فأمرهُ غريب ! الألم لا يفارقه .. بل يزداد في كل لحظة ، إنه لا يستطيع أن يقول شيئاً لأنه هو نفسه لا يعرف ما الذي يصيبهُ !
قد تكون آثار العملية ... لكن أهكذا ؟!
لاحظ والده هذا الأمر المقلق ، قرر أن يتكلم مع الدكتور بشأن ولده وحالته تلك .
ـ دكتور .. هل أصاب أبني مكروه ؟
ـ لماذا تقول هذا يا رجل ؟
ـ دكتور إن حالته لا تتحسن ، بل هي تزداد سوءاً !
كان الطبيب المشرف على حالة منتظر ما زال شاباً وجديد العهد بالمهنة ، ارتبك بعض الشيء وقال :
ـ سأخبر الطبيب الذي أجرى له العملية ، إنه الدكتور سعد .. سأخبره بالأمر حالاً .
جاء الدكتور سعد وما أن وقعت عيناه على منتظر حتى تغيرت ملامح وجهه !
تقرّب منه وهمس في أذنه :
ـ ولدي منتظر ..هل تسمعني ؟ أنا الدكتور سعد ..
أجابه والد منتظر :
ـ إنه في حالة إغماء يا دكتور .. أرجوك ساعد ولدي !

طلب الطبيب من والد منتظر الخروج من الغرفة ونادى على الممرض الذي يقف على مقربةٍ منه وتكلم معه بعض الكلمات ، أسرع الممرض بالخروج ثم رجع ومعه خمسة أطباء .. دخلوا الغرفة وأغلقوا الباب خلفهم .
عرف والد منتظر إن ولده قد حدثت لهُ مضاعفات خطيرة جراء العملية ، لكنه لم يتفوّه ببنت شفة غير ترديده لبعض الكلمات .. إلهي أحفظ ولدي .. يا رب.
ها هو اليوم الثالث من انتهاء العملية ، الطبيب يأذن لملاذ بالقيام والمشي بعد أن تحسّنَت حالتها كثيراً .. كانت دائمة السؤال عن حال منتظر ولم يكن والدها يجيبها غير انه بخير !
وبعد أن أذن لها الطبيب بالمشي قليلاً طلبت من والدها أن يرافقها إلى الغرفة التي ينام فيها منتظر ..
لم يعرف الأب ماذا يقول لها .. هل يخبرها بالحقيقة ؟ هل يخبرها بأن منتظر في حالة خطرة جداً !
لا .. قرر أن يُخفي الأمر عنها لكن إصرارها على الذهاب إليه جعلهُ يمتثل لأمرها ويرافقها إلى تلك الغرفة ..
دخلت ملاذ وما أن أبصرت منتظر مُلقى على ذلك السرير بحالته تلك حتى دُهشت وركضت نحوه ، سحبت الكرسي وجعلته بقرب سريره ، جلست وبدون وعي صارت تبكي..
ـ آه ماذا جرى لك يا منتظر ؟
كان وجهه أصفر اللون وكأنه لا يحتوي على قطرة دم ! كان والده يقف بقربه ولا يتكلم بغير لغة الدموع .. بكى والدها هو الآخر لأن الحقيقة هي أكبر مما تراهُ ملاذ ..
الحقيقة إن منتظر قد يفقد الحياة بعد ساعات !!
كان الأطباء قد تركوا الغرفة بعد أن يأسوا من حالته .

قامت ملاذ من مكانها وهرعت نحو والد منتظر وهي تصرخ :
ـ أخبرني يا عم .. أستحلفك بالله ، ما به منتظر ؟ لماذا حالته هكذا ..
ولماذا تبكي أنت وأبي ؟ ما الذي تخفوه عني .. أخبروني !
أخبرها والدها بما حصل لمنتظر ، بل وأخبرها بأنه الآن بين الموت والحياة ..
كانت ملاذ لا تصدّق ما تسمع .. هل سيفقد منتظر الحياة بسببها .. لا يمكن !

اتجهت نحوه وجلست بقربه وهي تنظر إليه منتظرة منهُ حركة .. ترك الرجلان الغرفة فما عادا يحتملان هذا المشهد المؤلم .
كانت ملاذ شبه منهارة ، فالأمر ليس بالهيّن ، بدأت تردد :
ـ أجلس أيها الفارس ! الموت ليس لك ..
كانت لا تفقه ما تقول ، وجّهت نظرها إلى النافذة وصارت تنظر للسماء ، شعرت بالسكينة بعض الشيء ...
ـ إلهي .. بعد أن دخلتُ حضرة حبك وطاعتك ، ليس لي الآن إلا أن اطلب منك بحق الإيمان الذي يملكه منتظر بك وبحق أوليائك الذين عشقهم منتظر لأجلك ، وبحق الحب الذي يملكه منتظر لوجهك الكريم يا الله ..اجعلهُ يعود إلى وعيه في هذه اللحظات ، فأنا محتاجة إلى أن أكلمّهُ ..أرجوك يا إلهي ، أتوسّل إليك .. أرجع منتظر إلى وعيه .
كانت متيقنة إن رحمة الله ستشملها وسيفيق منتظر ولو للحظات .. أنزلت بصرها من السماء وصارت تنظر إلى الجسد المُلقى أمامها لعلّهُ يتحرك !
آه .. إنها تسمعُ شيئاً ، نعم تسمعُ أنين ، إنه صوت منتظر ، بدأت تهمس بصوتٍ ضعيف :

ـ منتظر .. هل تسمعني ؟
فتح منتظر عينيه وابتسم كعادته ، لكنها اليوم ابتسامةٌ باهتة .. وكأنها ابتسامة الموت !
حاولت ملاذ ان تتماسك ولا تُريهِ دموعها ، همست قائلة :
ـ منتظر ... كلمّني أيها العزيز .. قل أي شيء !
ـ الحمدُ .. لله .. على .. سلامتك .. يا .. ملاذ .
ـ أشكرك .. أشكرك يا منتظر ، كُن قوّياً أيها الغالي ، إدعُ الله يا منتظر بأن ترجع لك صحتك .. لا تيأس أرجوك أدعوه .. فإنه يسمع دُعاء المضطرين ولن يردّك خائباً .
لاحت دمعةٌ في عينه ولما أبصرتها ملاذ صاحت :
ـ أتبكي يا منتظر ؟!
أجابها بصوتٍ متقطع مخنوق وقد نزلت دموعه على خدّه :
ـ أبكي .. ومالي لا أبكي .. ولا أدري إلى ما يكون مصيري ! فما بالي لا أبكي ؟! ...

كانت هذه الكلمات التي إعتاد منتظر على ترديدها بعد صلاة الليل هي من دعاء ابي حمزة الثمالي ، ثم أكمل بصعوبة شديدة :

ـ ابكي لخروج نفسي .. أبكي لظلمة قبري .. أبكي لضيق لحدي .. أبكي لسؤال منكر ونكير إياي .. أبكي لخروجي من قبري عُرياناً ذليلاً .. حاملاً ثقلي على ظهري !

هنا ومن غير أن تشعر رمت ملاذ بنفسها نحو سريره وهي تصرخ :

ـ يا ليتني متّ ولم أر حالك هذا .

رفعت نفسها ثم نظرت فلمحت المصحف الشريف الخاص بمنتظر والذي كان دائم القراءة فيه أثناء هذه الفترة أما اليوم فالمصحف موضوع عند رأسه ولا يقوى على فتحه ..

أخذت ملاذ ذلك المصحف بيدين ترتجفان وبدأت تقرأ والدموع لا تفارق عينيها ..

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ...

صمتت وصارت تدعو الله في نفسها ..

ـ أنت الرب الكريم وأنت أرحم الراحمين ، فبرحمتك التي وسعت كل شيء أرحم عبدك منتظر يا رب ، بعد أن أعيا مرضه الأطباء فلتكن أنت طبيبهُ يا الله .

تكلّم منتظر :

ـ لماذا توقفتِ عن القراءة ؟ إقرأي أرجوكِ فأنا بأشد الحاجة إلى سماع كلمات الخالق الحبيب .

صارت ملاذ تقرأ ومنتظر يستمع ، شعر بأن تلك الكلمات صارت تنزل في صدره كالعلاج .. نعم فلقد أحس براحةٍ عجيبة ، نظر إلى النافذة حيث السماء الزرقاء ، سمع صوتاً خفياً من أعماق نفسهِ : كن قوياً يا منتظر فأن ربك سيشفيك .

لاحظت ملاذ هذا التغير .. فلقد انقطعت دموعه وصار وجهه يستعيد لونه الطبيعي وكأن الدم عاد من جديد إلى الجريان في عروقه .

قضت تلك الليلة إلى جانب سريره تقرأ القرآن وتدعو وتبتهل إلى الله بأن يشفي منتظر ويعيد إليه صحته وعافيته .

وفي الصباح جاء الطبيب وأخذتهُ الدهشة لما رأى ذلك التغيير العجيب حيث إن الدكتور سعد وباقي الأطباء قد يأسوا من حالة هذا الشاب أما اليوم فإنهُ في هيئةٍ أخرى تماماً !

كان الإرهاق والتعب باديان على وجوه الفتاة والرجلين ، حيث إنهم لم يناموا طوال الليلة الفائتة .

سأل الطبيب والده :

ـ هل ما يزال في حالة الغيبوبة ؟

ـ لا أظن ذلك يا دكتور .. فلقد استيقظ ليلة أمس أكثر من مرة وطلب طعاماً حيث قال بأنه يشعر بالجوع !

أحسّ الطبيب بالارتياح لسماع هذا الكلام ، اتجه نحو منتظر وقام ببعض الفحوصات ثم قال :

ـ الحمدُ لله .. أنهُ يستعيد عافيته وصار جسمه مستعداً لأخذ العلاج وإن استمرت حالته في التحسن هكذا فهذا يعني إنكم بعد ثلاثة أيام ستستطيعون إخراجه من المستشفى إن شاء الله .

قال الجميع وقد غمرتهم الفرحة لسماع هذا الخبر : ((الحمد لله .. الحمد لله)) .

الفصل الثامن

عاد الأربعة إلى بلدتهم الصغيرة بعد أن تدخلت العناية الإلهية في حفظ منتظر من أن يخطفهُ الموت بعدما حدَث له من مضاعفات شديدة جرّاء العملية.
أخذ والد منتظر يسرد لزوجته ما جرى لولدهما وكيف إن الأطباء عجزوا عن علاجه ولولا إرادة الله ورحمته وفطنة وإيمان تلك الفتاة ((ملاذ)) التي لم تيأس كما فعل الأطباء بل سهرت إلى جانب منتظر تعالجه بالدواء الرّباني ـ كلمات القرآن الكريم ـ التي تشفي كل الأوجاع وتسكّنها لما إستطاع منتظر من اجتياز تلك المرحلة بسلامة .
كانت أم منتظر تصغي لزوجها وهي تمسك بيد منتظر وتبكي ، قالت بعد أن أكمل زوجها الحديث :
ـ كيف بي لو كنت قد فقدتك يا فلذّة كبدي ؟ وهل فعلاً جرى ما جرى لك دون أن أكون معك يا بُني ؟!
أجابها منتظر مقبّلاً يدها :
ـ آه يا أماه ... لقد كنت بين فترةٍ وأخرى أسمع حديث الأطباء مع والدي بأنني سأموت لا محالة ! لا أستطيع أن أصف شعوري لكِ في تلك الأثناء ، تصوّري شخص يقولون له ستموت بعد لحظات وسيضمّك القبر بعد ساعات ! أنهُ شعور رهيب يا أمّاه ..
ضمّت الوالدة أبنها إلى صدرها وصارا يبكيان .. كانت تردد : ساعد الله قلبك يا بُني ، أفديك بروحي يا منتظر .
رفع منتظر رأسه محاولاً مسح دموعه وهو يقول :
ـ أتعلمين يا أمي .. رغم كل الإيمان الذي يملأ قلبي ورغم علمي بعدل الله ورحمته ورغم إنني ـ والحمدُ لله ـ أفضل من كثير غيري من الشباب بفضل حسن تربيتكما لي .. إلا إنني كنت أرى نفسي ـ في تلك اللحظات ـ مقصّراً أشد التقصير ودعوتُ الله أن يُمدَّ في عمري لأعمل صالحاً وأطيعهُ وأُكثر من عبادته ، فلقد أحسستُ بأن الزاد الذي معي قليل جداً بالنسبة للرحلة الطويلة التي تواجهني ! فإذا كنت أنا ـ الذي عرفت طريق الهدى منذ صغري وسلكته محاولاً اجتناب كل معصية وعمل كل ما يرضي الرب ـ واجهتُ الموت بهذه الصورة

خائفاً مرعوباً فكيف بأولئك الذين قضوا سنوات عمرهم بالغي والضلال والابتعاد عن الطريق المستقيم ؟
كيف سيرون الموت وكيف سيواجهونه وأي شعور سيُخالج قلوبهم في تلك اللحظة التي لا يمكن الفرار منها ؟!

قال أبو منتظر وقد شدَّهُ حديث ولده :
- إن الخوف والرهبة في اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان هما أمران يمر بهما الصالح والطالح معاً يا بني ... في تلك اللحظات - لحظات خروج الروح - يشعر الإنسان بألم نفسي وألم جسدي ، فالألم النفسي لأنه يُدرك في هذه اللحظات الأخيرة أهمية عمل الخير ويُدرك تماماً أنّه مقصّر في كل شيء ويشعر بأنهُ التفت إلى الدُنيا أكثر من الآخرة في أيام حياته وهو الآن بحاجة ماسّة إلى العمل الصالح الذي لم يعمله ، وكذلك تألمه وهو يرى إنهُ مفارق الأهل والأحبة حيث لا عودة !
أما الألم الجسدي الذي ينتج من خروج الروح من الجسد فأنه يعتبر أكبر ألم يشعر به الإنسان ، حيث إن ألم الجرح مع إنه يصيب عصب واحد من الجسم إلاّ إنهُ يسبب آلاماً كبيرة ، فكيف حين تُنتزع الروح من كل عرق وعصب مرةً واحدة ؟!
وهنا يأتي الفرق واضحاً بين الصالح والطالح فإن كان الشخص الذي تُنتزع منهُ روحه مؤمناً صالحاً مطيعاً لله موالياً لأوليائه ومتبرئاً من اعدائه فإن روحه ستخرج كخروج الشعرة من العجين ! هذا ما أوضحهُ لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أما الإنسان العاصي والجاحد فان خروج روحه لن تكون سهلةً أبداً بل سيعاني بالإضافة إلى ألمهُ النفسي ، ذلك الألم الجسدي الذي وصفته لك - ألم انتزاع الروح من كل عرق وعصب - وهو ألم لا يُضاهيه ألم .

الفصل التاسع

بدأ والد ملاذ يلاحظ التغيير الكبير الذي طرأ على سلوك ابنته بعد تلك السفرة ، لقد هجرت التلفاز نهائياً وصارت تأوي إلى الفراش مبكرةً جداً وهي ملتزمة بكافة واجباتها الدينية التي علمها إياها منتظر ..
وفي إحدى الأمسيات قالت ملاذ لوالدها :
ـ أوليس من الواجب يا أبي أن نقوم بزيارة عائلة العم أبو منتظر ونرّد إليهم الجميل ؟ إن الذي فعلوه معنا لا يمكن أن يُعدُّ فضله ورغم ذلك فأنا لا أراك تتصل بالعم أبي منتظر أو تحاول أن تسأل عنه وعن أخباره ، أما هو فدائم الاتصال والسؤال عن أحوالنا !
نظرَ إليها والدها بعد أن أكملت حديثها قائلاً :
ـ ألا ترين إنك لا تتحدثين إلاّ عنهم يا ملاذ ؟ حتى إنكِ نسيتِ أن لكِ أباً يجب أن تبادليه حنانكِ ومشاعركِ فمنذ يوم العملية إلى اليوم لم أسمع منكِ غير الحديث عن أفضال عائلة أبي منتظر وإحسانهم إلينا !
كان والد ملاذ يتحدث بعصبية واستياء جعل ملاذ تستغرب الأمر ، فلقد رأت والدها قد ضخّم الموضوع كثيراً وأعطاه أكبر من حجمه ! والحقيقة إن حامد صار يشعر إن ابنته لم تعد ابنته بل إنها صارت تنتمي لعائلة أبي منتظر !
هذا ما كان يراود الوالد بخصوص تصرفات ومشاعر ابنته التي تغيّرت كثيراً وفي كل تصرف كانت تقوم به كان يشعر بأنها تريد أن تقول له ((إنك لم تحسن تربيتي .. ومنتظر هو الذي ربّاني)) !!
في الحقيقة إن ملاذ لم تكن تقصد أي شيء مما كان يفكر بهِ والدها لكن الأخير قد ملأت وساوس الشيطان رأسه فصار يشعر بالغيرة والاستياء من تلك العائلة التي سرقت مشاعر ابنته !
لاذت ملاذ بالصمت ولم تتحدث بشيء بعد أن رفض والدها اقتراحها ذلك .
بعد أيام قلائل عزمت عائلة أبي منتظر على زيارة بيت أبي ملاذ وخاصةً إن أم منتظر كانت شديدة الشوق لرؤية ملاذ بعد أن سمعت من زوجها وولدها عن ما فعلته تلك الفتاة لإنقاذ حياة منتظر .
أتصل والد منتظر بصاحبه واتفق معه على موعد الزيارة .. وفي الوقت المحدد وصلت العائلة إلى منزل أبي ملاذ حيث استقبلهم الأخير استقبالاً لا بأس به.

كان منتظر يتوقع أن تقوم ملاذ بفتح الباب لهم كما حدث في أول مرة زار فيها منزلهم لكن لم يكن لملاذ أي اثر هذه المرة !
مرّت عشر دقائق تقريباً على حضور الضيوف ..
سألت أم منتظر :
ـ أين فتاتنا ملاذ ؟ أنا متشوقة لرؤيتها ..
أجاب أبو ملاذ :
ـ نعم .. حالاً سأناديها ، ملاذ .. ملاذ ..
دخلت الفتاة وألقت السلام ، وقد بدت مرتبكة بعض الشيء !
رد الجميع التحية وكانت أم منتظر في حالة دهشة .. فكم هو الفرق بين حجاب ملاذ في أول مرة رأتها فيها وبين حجابها وسترها الآن !
إنها ترتدي الحجاب الكامل ولم يظهر منها إلاّ قرص الوجه والكفين .. تبدو كملاكٍ بحيائها وسترها وأدبها .
أما منتظر فصار يقارن ـ والفرحة تغمره ـ بين طريقة كلامها وضحكتها في تلك الزيارة وبين ما تبدو عليه اليوم من رزانة وهدوء ووقار .
جلست ملاذ بقرب والدة منتظر وصارتا تتحدثان عن أمور الحياة ، حاول منتظر المشاركة في الحديث بعد أن إنتهز فرصة انشغال الرجلين بالحديث عن آخر الأخبار السياسية وأمور أخرى ، فوجّه كلامه إلى ملاذ قائلاً :
ـ وكيف حالكِ الآن مع الوضع الجديد ؟ وهل تعانين من مشكلةٍ ؟
ـ لا .. أبداً يا منتظر ، الحمدُ لله فكل شيء على مايرام ، والسعادة التي حدثتني عنها سابقاً صرتُ استشعر طعمها الآن .. لكن ..
ـ لكن ماذا ؟ تكلمي يا ملاذ ..
ـ مازلتُ أشعر إن هناك وقت فراغ يجب أن استغله ، فالحقيقة إنني ما تركتُ الصلاة منذ أن حدّثتني عنها ... وصرتُ أقضي ما فاتني منها في السنوات الماضية ، أما القرآن فيومياً أقرأ جزأين منهُ تقريباً ، والتلفاز هجرتهُ تماماً ... لكني لا أستطيع أن أقضي كل وقتي بالصلاة وقراءة القرآن فهذا صعبٌ عليَّ !
ـ ليس عليك فقط ، بل إنهُ صعبٌ على الجميع يا ملاذ ... وحتى رسول الله (صلى الله عليه واله) عندما صار يُرهق نفسه بقيام الليل والنهار معاً في الصلاة وعبادة الله حتى تورمت قدماه عاتبه الله بالقول :
((طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى!)) ، فإن قضاء الوقت كله بالصلاة والتعبّد هو أمرٌ صعب يرهق الجسد والقلب معاً لذا قال الإمام علي (عليه السلام) :

(إن القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فتخيروا لها طرائف الحكمة)
ـ وماذا قصد (عليه السلام) بـ (طرائف الحكمة) ؟
ـ الطريف هو الجديد ، ذلك إن لكل جديد لذّة ونكهة خاصة ويُعتبر الأسلوب الجديد محركاً على إدامة العمل بنشاط أكبر ، أما الأسلوب الرتيب والقديم ربما يجر إلى النفس السُأم والملل والنفور .
فعندما أرشدنا علي (عليه السلام) في أن نختار لقلوبنا طرائف الحكمة فقصد بذلك أن نختار لها كل جديد حتى لا تمل ولا تتعب .
ـ لقد حاولت يا منتظر أن أضع جدولاً يقسّم وقتي بين أعمال المنزل وبين العبادة .
ـ بل يجب أن يكون هناك وقت خاص للترويح عن النفس حتى لا تملّي العمل ولا العبادة ..
أي إن وقت الترويح هذا سيضيف إليك طاقة أكبر للقيام بعملك وعبادتك ، بينما إذا أستمر حالك هكذا ولفترة طويلة من الزمن لا يوجد غير العمل والعبادة فإن جسدك سيتعب وقلبك سيمُل ، وقد يسوء الأمر فيقل العمل وتقل العبادة بدل أن تزداد !
ـ وكيف يمكن الترويح عن النفس ؟
ـ نعم يا عزيزتي هذا سؤال مهم .. فطبعاً لا يمكن الترويح عن أنفسنا بأمور محرمة ، فمن شرائط الترويح أن يكون خالياً من المفاسد والمضار والباطل والحرمة ..
وكذلك يجب أن يخلو الترويح من الإسراف والاستغراق الذي يستهلك الوقت بأجمعه !
وبالنسبة لحالتك فإنك تستطيعين الترويح عن نفسك بجميع أنواع الترويح المشروعة ...
ـ ماذا تقصد بأنواع الترويح المشروعة ؟ لم أفهم !
ـ للترويح أربعة أنواع تقريباً (الفكري والفني والجسدي والسياحي) كماصنّفهُ علماء النفس ..

أما الفكري فيتم من خلال استغلال الوقت بتغذية الفكر بالمطالعة والقراءة واكتساب المعلومات ، وخاصة إنك يا ملاذ قد تركتِ المدرسة في سن مبكر ، يعني انك بحاجة للاطلاع والقراءة لتكوني فتاة مثقفة مُلمّة بأفكار عصرها

وعارفة بأمور العلم والدين معاً ... بل وحتى الذين وصلوا إلى درجة مرموقة في العلم والمعرفة سواء المعرفة الأكاديمية أو الدينية فسيبقون بحاجة إلى اكتساب أكثر ومعرفة أكبر ، وكما قال الشاعر :

قل للذي يدّعي في العلم معرفةٍ عرفت شيئاً وغابت عنك أشياءُ !

والترويح الفكري لا يقتصر على قراءة الكتب بل هناك المجلات المنوعة والمفيدة والصحف اليومية وكذلك البرامج الثقافية التي نشاهدها عبر الفضائيات كالمسابقات الثقافية والدينية ، فالتديّن يا ملاذ لا يعني أن نهجر التلفاز نهائياً بل أنهُ سلاح ذو حدين نستطيع الاستفادة منهُ أشدّ الاستفادة لو استطعنا التحكم الصحيح فيما نشاهده عبر هذه الشاشة ، فهناك بالإضافة إلى البرامج أخبار وتقارير تجعلنا مواكبين لآخر الأحداث في هذا العالم وكذلك الاكتشافات والتطورات في تيار العلم الحديث ، وهناك أيضاً قنوات ملتزمة تحاول بث أكبر عدد من المحاضرات الدينية والتوعوية لخطباء
المنبر ـ جزاهم الله خيراً ـ نستطيع أن ننهل منهم كثيراً من الحكم والمواعظ والقصص النافعة و الطريفة في الوقت نفسه .
أما الترويح الفني فمن خلال ممارستك لأنواع الفن كفن الطبخ أو فن الخياطة والتطريز وكذلك فن الرسم والكتابة وغيرها ..
أما الترويح الجسدي فيكون عن طريق ممارسة الرياضة كل صباح أو بعد فترة القيلولة ـ أي بعد الظهيرة ـ فهي تزيد من النشاط والحيوية وتساعدنا في كسب طاقة إضافية تساعدنا على أعمالنا .
وأخيراً الترويح السياحي بأن تطلبي من والدك اصطحابك بين فترة وأخرى لزيارة العتبات المقدسة أو الأماكن ذات الطبيعة الخلابة أو زيارة الأقارب والأرحام فكل هذه الأمور تساعد في كسر الروتين اليومي وتزيد من الطاقة والنشاط وتقتل أوقات الفراغ بما هو نافع ومفيد .
قالت والدة منتظر محاولة إسناد رأي ولدها :
ـ كم جميل يا ملاذ أن تطلبي من والدك إحضارك إلينا كلّما شعرت بالوحدة والفراغ ؟

أظهرت ملاذ سرورها لهذا الاقتراح وارتياحها الشديد لكنها وما أن قفزت إلى بالها عصبية والدها واستياؤه من الفكرة حتى اعتذرت بالقول :

ـ لا أظن إنهُ بإمكاني زيارتكم يا خالتي ، فوالدي مشغول جداً ولن يستطيع إحضاري إليكم كلما أردت !

قال لها منتظر :

ـ سأرسل إليك بعض الكتب مع والدتي إن جاءت لزيارتك في المرة القادمة لتقرأيها في أوقات فراغك وأرجو أن تكون نافعة ومفيدة لك .. كذلك سأرسل معها أشرطة مسجلة لأحدث المحاضرات إن شاء الله .

شكرتهُ ملاذ كثيراً وكانت فرحتها كبيرة لما سيقدمهُ منتظر من خدمة جليلة لها في حصولها على تلك الوسائل التي ستزيد من معارفها وعلومها وستساعدها كثيراً في إشغال وقت الفراغ بأمور نافعة تُدنيها أكثر من الخالق جل وعلا.

عادت العائلة إلى منزلها بعد تلك الأُمسية ، وكانت أم منتظر مرتاحة جداً لتلك الزيارة وتكلّمت مع نفسها بخصوص إمكانية خطبة تلك الفتاة لأبنها منتظر !

الفصل العاشر

مضت ثلاثة أشهر تقريباً على زيارة الحاج كريم وعائلته لبيت حامد ..
ولقد بدا خلال هذه الفترة أمر غريب على منتظر !
صارَ فتانا شارد الذهن ، فكرهُ كثير الهروب ، وكلما حاول أن يبحث عنه وجدهُ عند ملاذ !
ما الأمر ؟ صار منتظر يسأل نفسه كثيراً .. هل من المعقول بأنني قد وقعتُ في حبائل الشيطان ؟!
فرغم هذه الشهور التي مرت على تلك الزيارة إلاّ إن منتظر ما يزال يتذكر ملامحها وكلماتها وتصرفاتها ... بل والأكثر من هذا إن صورتها متعلقة في ذهنه ولا يستطيع أن يمحوها مهما حاول !
ولكن أي صورة هي التي تعلقت في ذهنه ؟ أهي صورة تلك الفتاة التي رآها لأول مرة واستهجن واستحقر حالتها وما كانت عليه حينها ؟ أم هي صورة الفتاة التي رآها بعد عودتهم من السفر وزيارته مع عائلته لها في منزلها وهي بذلك الأدب وبتلك العفّة والحياء ؟
طبعاً إنها الصورة الأخيرة بعد ذلك التغيير الكبير .. تلك الصورة التي لا تريد أن تفارقه أبداً !
أغلق الكتاب بعد أن رأى أنهُ لا يفهم منه كلمة واحدة ! فجميع الكلمات تظهر أمامهُ وكأنها كلمة واحدة لا غيرها ... ملاذ !!!
قام واقفاً .. أدار ببصره في أرجاء الغرفة ، وضع الكتاب على الطاولة واتجه نحو سريره ، رمى بنفسه على فراشه ، بدأ يخاطب نفسه بصوتٍ خفي :
ـ ما بك يا فتى ؟ ألم تكن دائماً تردد بأن الشيطان سوف لن ينال منك أبداً ولن يحدثك عن أي فتاة في هذا الكون ؟!
ثم صار يجيب نفسه كمن أصابه الجنون !
ـ لا أعرف ما بي يا منتظر ! الأمر ليس بيدي ، لستُ أنا من أفكر بها .. بل هناك قوة خارج إرادتي هي التي تجر تفكيري نحوها .
ـ وبرأيك أي قوةٍ هذه ؟
ـ صدّقني لا أعرف .. أظنها قوّة إيمانها هي التي جعلتني أُعجب بها إلى هذه الدرجة ، تلك القوة التي جعلتها تتبع الهدى بهذه السرعة ! نعم فأنا ما جذبتني إلاّ حين تبدّلت بالكامل .

ولو كان تفكيري بها نتيجة شهوة أو نزوة لاستهواني أمرها حين رأيتها أول مرة بذلك المنظر بدون حجاب وبتبرج كامل .. لقد انتقدتها حينها بل احتقرتها في داخلي ، ولم تحدثني نفسي بالنظر إليها ولو لمرة واحدة طوال الفترة التي قضيناها معاً .

أما الآن (صمت قليلاً وأخذ نفساً عميقاً ثم أكمل) كم أنا مشتاقٌ لرؤيتها والتحدث إليها ومعرفة أخبارها ...

أطلق حسرةً أخرى ثم صار يردد مع نفسهِ بألم ...

ـ آه ... ليتني لم أقبل بذلك المشروع ... مشروع التبرع ... ليتني لم أرها ، ليتني لم أحدثها ، ليتني لم أزرها مرة ثانية في منزلهم ... ليتني متُّ في تلك العملية !

كان من شدة التأثر لا يفقه ما يقول ، وفجأة قفزت إليه فكرة ! الهاتف نعم سأتصل بها لكن .. ماذا سأقول لها ؟ وإن ردّ عليَّ والدها !

عاد إلى وعيه وصار يتكلم مع نفسهِ بغضب وعصبية :

ـ آه منك أيتها النفس .. صرتِ تسوّلين لي بأمورٍ محرمة ، ويلٌ لكِ أيتها الأمّارة بالسوء !

جاءهُ صوتٌ أخر لم يُميز مصدره بادئ الأمر كان يقول له :

ـ أتصل بها يا منتظر .. إنهُ ليس أمراً محرماً ، فإنك ستسأل عن أخبارها ليس إلاّ ! ما بك يا فتى ، إنها من الأمور المستحبة أن تسأل عن أحوال الآخرين !

استجاب منتظر لهذا الصوت ، اتجه نحو الهاتف ، رفع السماعة وصار يُدير القرص على رقم منزلها ومع كل حركة يشعر بأن دقات قلبه تركض نحو المجهول ... استمر الهاتف بالرنين وأخيراً سمع صوت يحدّثه .. إنه ليس صوت ملاذ ، بل وليس صوت والدها ! من يكون يا ترى ؟

إنهُ صوت (الضمير) : منتظر ... ما الذي تفعلهُ ؟ هل فعلاً استجبت لنداء الشيطان ؟ كيف تصدّق بأن ما تفعله الآن ليس بحرام ! أنت تعرف جيداً إنك لا تريد من هذه المكالمة إلا سماع صوتها لتشعر بالراحة ولِتُطفئ نار الشوق التي اشتعلت في قلبك ! إنك تتبع نداء قلبك يا منتظر وما نداء القلب إلا (الهوى) فأرجع إلى وعيك وتذكر قوله تعالى :

((وأما من خاف مقام ربهِ ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)) .

أعاد منتظر سماعة الهاتف بيدين مرتجفتين ، رجع مسرعاً إلى غرفته ، أغلق الباب خلفه وجلس على الأرض ، أسند ظهره على الباب خوفاً من أن يفتحها أحد!

وضع رأسهُ على ركبتيه وصار يبكي وهو يلعن نفسه مرة ويخاطب الله مرةٌ أخرى :

- يا ويلي ... كيف تجرأت عليك يا ربي ؟ كيف خالفت أمرك واتبعتُ هوى نفسي .. كيف كيف ؟؟

كان هذا الموقف من أصعب وأحرج المواقف التي مرت به طوال حياته بل حتى أصعب من ذلك الموقف الذي جمعه بملاذ في تلك السيارة !

لأول مرة ينصاع بسرعة لأمر النفس والشيطان ، لقد إتحدا ضدّه ولولا وجود ضميره الذي أنقذهُ في آخر لحظة لكان قد وقع في شباك الشيطان ...

فكيف يكلمّها سراً بدون علم أحد ! وماذا سيقول لها ونفسهُ هائجةٌ بذلك الشوق الملتهب !

ستكون كل كلمة منه مصدرها العاطفة والهوى ، تذكر قوله تعالى

((ولا تواعدوهنّ سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً)) فأي قولٍ معروف يمكن أن يقوله لها وهو في هذه الحالة من الاضطراب والتوتر العاطفي !

مسح دموعه ، قام وقد استعاد عقله ، توضأ واتجه ليصلي صلاة المغرب بعدها فتح القرآن وصار يقرأ ودموعه تجري حياءاً من الله جرّاء ما كان سيُقدم عليه من معصية !

وبعد أن أكمل قراءة عدّة صفحات من القرآن اتجه نحو الصحيفة السجادية زبورآل محمد (عليه السلام) وبدأ يقرأ مناجاة الخائفين ..

((إلهي أتراك بعد الإيمان بك تُعذبني ؟ أم بعد حبي إياك تُبعدني ؟ أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني ؟ أم مع استجارتي بعفوك تُسلمني ؟ حاشا لوجهك الكريم أن تخيبني ...ليت شعري أَلِلشقاء ولدتني أُمي ؟ أم للعناءِ ربتني ؟ فليتها لم تلدني ولم تُربّني !!))

هنا صار بكاؤه شديداً ، خاف أن يُفتضح أمره بين أفراد عائلته ، أغلق الصحيفة فما عاد باستطاعته إكمال المناجاة ...

اتجه إلى فراشه ، ظلَ يردد كلمات الاستغفار والتوبة حتى استسلم للنوم .

الفصل الحادي عشر

استيقظ منتظر في إحدى الصباحات على صوت المُنشد وقد علا صوت الموشحات آلة التسجيل وهي تصدح في أرجاء البيت !
خرج من غرفته فإذا بالزينة والبالونات تملأ أركان المنزل ! ما الذي يحدث ؟
اتجه نحو غرفة الجلوس حيث تجتمع العائلة ألقى السلام ووجّه كلامه إلى والدته:
ـ خيراً إن شاء الله يا أم منتظر !
قامت أمهُ وقبّلتهُ وهي تقول :
ـ كل عام وأنت بخير يا حبيبي .
ـ وأنتِ بألف خير يا أماه .. لكن هل اليوم عيد وأنا لا أعرف !
قام أصغر أخوته من مكانه وهو يقول :
ـاليوم عيد ميلادك يا منتظر !
ـ عيد ميلادي ! آه نعم .. لكن هل مازلتِ تتذكرين يا أمي ؟ لقد كبرت على هذه الأشياء !
ـ أنتَ في نظرنا ، أنا ووالدك ، مازلت ذلك الولد المدلل .
ـ أشكرك أيتها الغالية .
اقتربت والدته منه أكثر ووضعت شيئاً في يديه وقبّلته ثانيةً ، كما قام جميع أخوته بعمل نفس الشيء ، باركوا لأخيهم الأكبر وقدّموا لهُ الهدايا .
إنهُ مع اليوم يُكمل ثلاثة وعشرين عاماً وسيدخل يوم غد في السنة الرابعة والعشرين من عمره .

* * *

دخل منتظر غرفته وبدأ بفتح الهدايا ، كانت كلّها جميلة ولكن هناك هدية مميزة جداً جعلت قلبهُ يدقُّ سريعاً !
إنها هدية الأم .. كانت كتاباً عن الزواج المبكر في نظر الإسلام .. في الحقيقة كانت أم منتظر تشعر بأحاسيس ورغبات ابنها ، حالها حال أي أم على وجه هذه الأرض .
كانت تتمنى أن يتكلم معها ويصارحها برغبته في الزواج من ملاذ والتي هي رغبتها أيضاً بأن يرتبط ولدها الأكبر بهذه الفتاة المتميزة .

ولأنهُ إنسان مؤمن كان يغلب عليه الحياء كلما أراد أن يُصارح والدتهُ ! إذ كان دائماً يحاول إخفاء مشاعره.. بادرت هي بفتح هذا الموضوع من خلال هذا الكتاب الذي يشجع الشاب المؤمن على الزواج مبكراً كي لا يبقى رهين الوساوس والأحلام السيئة !
كان منتظر إلى هذه اللحظة لم يفكر بأمر خطبة ملاذ أو أي شيء من هذا القبيل ... كان كل همهُ أن يحارب الشيطان والهوى ! أما الآن فلقد علّمتهُ أمه درساً لن ينساه طوال حياته وهو إن الإسلام دين سماحة ورحمة ولا يرضى للشاب المسلم أن يكبت رغباته المشروعة ، بل فتح لهُ طريقاً مهماً وجميلاً ألا وهو طريق (الزواج) من خلالهُ يُغلق كل الأبواب أمام إبليس اللعين وزمرتهُ الخبيثة !
ورغم كل هذا تراجع منتظر عن هذه الفكرة ـ على الأقل حالياً ـ قال في نفسه :
ـ الظاهر من هذه الهدية إن أمي تريدني أن أتزوج رغم إنني تخرجتُ توّاً من الجامعة ولا يوجد لديّ عمل محدّد وثابت أستطيع من خلاله أن أكون مسؤولاً عن زوجة وأطفال ! لا .. لا يمكن أن أتزوج الآن أو حتى أن أخطب ، فكل خطوة تحتاج آلاف الدنانير !
وفي المساء بدأ أخوته يسألونه عن رأيه بـهداياهم ..
وكان منتظر يجيبهم بفرح وسرور وعندما وصل الدور إلى الأم قالت :
ـ وأنا يا قرة عيني .. هل أعجبتك هديتي ؟
شعر منتظر بالحياء واحمرّت على إثر هذا السؤال وجنتاه ولم يعرف بماذا يُجيب والدته من شدّة الحياء والخجل!
لم تشأ الأم أن تُحرِج ولدها أمام إخوته الذين لا يعرفون طبيعة تلك الهدية ، لذلك لم تلح أكثر في طلب الإجابة .
بعد إتمام العشاء قام منتظر قبل الجميع ودخل غرفته ، أشار أبو منتظر إلى زوجته بأن تقوم خلف منتظر وتكلمه على انفراد حول موضوع الهدية حيث إن الأب كان يعرف كل شيء عن الأمر .
استجابت الأم لطلب زوجها فاتجهت نحو غرفة ولدها وطرقت الباب ، أجاب منتظر :

ـ ادخل .. الباب مفتوح .
دخلت فوجدتهُ مستلقياً على فراشه ، فزع عندما رآها وبدا عليه التوتر ! ابتسمت والدته ثم قالت بعد أن جلست بقربهِ على السرير :

ـ ما بك يا فتى ؟ هل تستحِ من أمك ؟!
ـ لا .. لا طبعاً يا أماه ، لكِن ..
ـ لكن ماذا يا ولدي ؟ هل تظن بأن أمك ستتركك هكذا في حيرتك ! لقد كبرت يا بُني وصرتَ رجلاً يُعتمد عليه وأبوك وأمك يتمنان أن يرياك عريساً قبل وفاتهما !
ـ لا تقولي هذا يا أمي أرجوكِ .. فمازلتما في شبابكما .
ـ اسمع يا بُني (بدون لف ودوران) أنت يجب أن تتزوج !
ـ ماذا ؟ يجب !
وقبل أن يكمل قاطعته قائلة :
ـ لا تحبّذ الشريعة أن يبقى الشاب بعمرك بلا زواج .. ومن أفضل المستحبات أن يتزوج الشاب مبكراً ، حتى لا يقع في المحرمات لا سمح الله .
ـ لكن يا أماه .. أنا ولله الحمد لا تهمني هذه الأمور !
ـ يا منتظر .. الزواج أمر مهم ومهم جداً لذلك وصفهُ الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنه (نصف الدين) وخاصةً للمؤمنين فهو يقيهم من زلاّت وعثرات كثيرة ، ألم تسمع بتلك الرواية عن حال إبليس كيف أنه يضج ويقول حين يتزوج الفتى : (يا ويله ، عصم مني دينه) يعني إنك بزواجك سوف تعصم دينك من شر ذلك المخلوق عليه اللعنة ، والزواج ليس عيباً يا ولدي حتى تستحِ منه ، إنهُ سُنّة الحياة بل سُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي قال : ((النكاح سُنتي فمن رغب عن سُنّتي فليس مني)) .
ـ نعم يا أمي أنا أعرف هذا ... لكني لا أملك من حطام الدنيا شيئاً !
ـ ها أنت تقول إنهُ (حُطام الدنيا) إذاً لماذا تحمل لهُ كل هذا الهم ؟
ـ أنا لا أهتم للمال يا أماه لكن من هي التي سأتقدم لها وترضى أن تعيش معي وحالي هكذا ؟
ـ بنات الحلال كثيرات يا منتظر ... إسمع يا بُني إقرأ هذا الكتاب الذي أهديتهُ لك وستجد فيه الكثير الكثير مما هو خافٍ عنك ، وبعدها إن غيّرت رأيك أخبرني حتى أُهيّئ نفسي لأذهب وأخطب لك وإن كانت هناك فتاة خاصة في بالك فأخبرني بها وستجدني رهن الإشارة !
شعر منتظر ببعض الراحة عند كلام والدته معه لكن مخاوفه مازالت هيَ ذاتها ! فكّر قائلاً :
ـ حسناً سأقرأ الكتاب ، عسى أن يكون خيراً لي .

قضى منتظر ليلتهُ تلك بالقراءة المتأنية في ذلك الكتاب .. ومما لفت نظرهُ فيه كثرة الأحاديث والروايات الواردة عن الرسول وآله الكرام في تشجيع الشباب على الزواج وأكثر الأحاديث تأثيراً في نفسه كان قول للرسول (صلى الله عليه وآله) وهو : ((ما بُني بناء في الإسلام أحبُّ إلى الله عز وجل من التزويج)).
كما أنه تأثر كثيراً بقول الإمام الصادق (عليه السلام) : ((إن ركعتين يُصليهما رجل متزوج ، أفضل من رجل يقوم ليله ونهارهُ أعزب)) .
أما الحديث الذي ما أن قرأهُ حتى غيّر رأيه في الحال وتمنى الزواج اليوم قبل غد هو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((شراركم عُزّابكم ، وأراذل موتاكم عزّابكم)) فالعزاب ـ أي غير المتزوجين ـ
يذمهم الرسول في حياتهم بل حتى بعد مماتهم !
فالموتى (غير المتزوجين) في حياتهم هم أرذل الأموات على حد تعبير رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌّ يوحى .
كما حرّكت مشاعره الآية القرآنية التي تقول : ((ومن آياتهِ أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ... لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة ، إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون)).
وبعدها تذكر كلام والدته عن إن عصمة دينه تكون بالزواج ، وكيف إنها ستقف معه حال إتخاذ قراره بخطبة أي فتاة يريدها .
هنا أغلق الكتاب عندما وصل تفكيره إلى ملاذ ! خرج من الغرفة توضأ وعاد لأداء صلاة الليل بعد أن نام الجميع .

* * *

وفي صباح اليوم التالي جاء والده إليه ، ألقى التحية وسأله قائلاً :
ـ هل اتخذت قرارك يا بُني أم مازلت مُصِرّاً على رأيك ؟
كان منتظر ووالدهُ بمثابةِ الصديقين ، لذلك سارع صاحبنا بالإجابة :
ـ نعم يا أبي .. لقد فكرت واتخذت القرار !
ـ خير إن شاء الله ؟
ـ سأتزوج بأذن الله وعن قريب إن أراد الله ذلك .
ـ أحسنت يا منتظر .
ـ لكن يا أبي ... !
ـ ماذا ؟ تكلم يا ولد .. لا تتردد .

ـ أخشى أن يكلفنا هذا الأمر مصاريف كثيرة ترهق كاهلنا !
ـ هل لك ثقة بالله يا منتظر ؟
ـ ونِعمَ بالله .
ـ إذاً توكّل عليه يا بُني وتذكر قول الإمام الصادق (عليه السلام) : (من ترك التزويج مخافة الفقر فقد أساء الظن بالله ، حيث يقول الله عز وجل : (وإن يكونوا فقراء يُغنهم الله من فضله) ، ثم
إنك شاب مؤمن ومُتّقي الله ومطيع لأمره لذلك لا يمكن أن يتركك الله بدون مساعدة فلقد قال في محكم كتابه : (ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقهُ من حيث لا يحتسب) ، والآن هل هناك فتاة مُعينة
تريدنا أن نخطبها لك ؟
وبدون أي تردد قال منتظر :
ـ نعم .. إنها ملاذ !
ضحك الأب ثم قال :
ـ سبحان الله ، أنت وأمك متشابهان حتى في الاختيار !
ـ هل صحيح يا أبتي إنها اختارت ملاذ أيضاً ؟
ـ نعم يا ولدي .. ونِعمَ الاختيار اختياركما ، سأحدد اليوم موعداً مع أبيها لأزورهم به .
ـ لا يا أبا منتظر .. لا تستعجل ، أتمنى أن تذهب أمي إليهم أولاً وتأخذ رأي ملاذ فإن حصلت موافقتها لا تبقى إلا موافقة والدها وحينها يمكنك الذهاب للتحدث إليه .. فأنا لا أريد أن أُسبب لك الإحراج في حالة عدم موافقتها .
ـ ماذا ؟ لا توافق ! أين ذكاؤك يا منتظر ، إن ملاذ تتمنى أن تكون خادمتك لا زوجتك !
ـ لا يا أبي .. هذا كان سابقاً ، أما الآن وبعد هذه الفترة لا اعرف ماذا جرى فقد تكون الأمور قد تغيرت ، الله أعلم !
ـ اترك هذه الأفكار ولا تتشائم ، كن متفائلاً يا ولدي .

الفصل الثاني عشر

فرحت أم منتظر أشد الفرح عندما أخبرها زوجها بموافقة ولدهما على الزواج وفرحت أكثر عندما عرفت أن ولدها قد اختار من اختارتها هي أيضاً ، أسرعت نحو الهاتف وأدارت رقم منزل ملاذ .. أخذت منها موعداً لزيارتها بعد أن سألتها عن أخبارها وأخبار الوالد .
وفي الساعة السادسة عصراً كانت أم منتظر قد وصلت منزل ملاذ ، استقبلتها فتاتنا استقبالاً حاراً فلقد مضت عدّة شهور على اللقاء الأخير .
قالت ملاذ بصوت متأثر :
ـ ما كنتُ أظنكِ تنسيني هكذا يا خالتي فبعد لقاءنا الأخير في منزلنا لم تتصلي بي إلاّ مرة واحدة بالهاتف !
ـ لكِ كل الحق يا ملاذ لكني كنتُ أنتظر أن تتصلي أنتِ بخالتك فإن وقتكِ أوسع من وقتي بكثير .
ـ آه يا خالة .. كم أتمنى أن أزوركم أو أتصل بكم لكن ...

ثم أطلقت ملاذ حسرة طويلة تذكرت من خلالها موقف والدها تجاه هذه العائلة !
فهل تخبر أم منتظر عن ذلك الموقف ؟ طبعاً لا ! فضّلت السكوت ..
ـ لا أعرف فعلاً يا ملاذ كيف تتحملين هذه الوحدة !؟
ـ هل تصدّقين يا خالتي لو قلتُ لكِ أن ربّي صار بالنسبة لي هو السلوة الوحيدة في حياتي ..
ـ ونِعمَ بالله .
ـ صحيح إنني ما أن فتحتُ عيني في هذه الحياة حتى فقدتُ أقرب إنسانة لي وهي (أمي) فلم أعرف حينها سوى أبي الذي أبعدني عن كل انسان سواه .. بل حتى أهلهُ وأهل أمي لم يحاول أن يعرفني عليهم ! لكن رغم كل هذا أشعر الآن أن (الله) هو أهلي وكل قرابتي !
دمعت عينا المرأة وهي تسمع هذه الفتاة تتكلم بهذا الكلام الكبير والمؤثر، قالت أم منتظر وهي تحاول الدخول في الموضوع :
ـ لقد جئت اليوم لأمرٍ خاص يا عزيزتي ..
ـ خاص !

ـ جئتُ لأرى رأيك في ابني منتظر !
ـ منتظر ؟!!
كانت ملاذ رغم كل ما تمر بهِ من قسوة الأيام تحاول جاهدةً أن تتناسى ذلك الإسم ! نعم فمنذ أن رأت إن أباها لا يطيق سماع هذا الإسم وهي تحاول بما تملك من قوة أن لا تذكرهُ أمامه .
قالت أم منتظر مبتسمة :
ـ ما بكِ يا ملاذ ! لماذا شرد ذهنكِ هكذا .. ؟ ما رأيكِ بأبني كزوج ... ؟
ـ زوج !
ـ لقد جئت اليوم خاطبةً إياكِ لولدي .. فماذا تقولين ؟
ـ لكن يا خالتي .. لماذا أنا بالذات ؟ أخشى أن يكون هذا قراركِ أنتِ ...
ـ صدّقيني يا عزيزتي ، إنهُ هو من أرسلني ..
كانت الدهشة والارتباك باديتان على فتاتنا ! نعم كانت تتمنى أن ترتبط بهذا الشاب منذ أول مرة رأتهُ فيها ، لكن بعد مرور الأيام صارت تشعر إنها لا تستحق هذا الإنسان .. لما يملكهُ من صفاء الروح وطهارة السريرة ..
قطع تفكيرها مرة أخرى صوت أم منتظر وهي تقول :
ـ أعرف بماذا تفكرين الآن ، لكن يا ملاذ لقد تغيرت الأمور كثيراً وصرت أنتِ اختيار منتظر الوحيد .
شعرت ملاذ بالسعادة والنشوة لسماعها تلك الكلمات لكنها تذكرت شيئاً ما ! قالت بألم :
ـ آه يا خالتي لو كان الأمر بيدي!
ـ لا عليك يا ملاذ .. إن أمر أبيكِ سهل إن شاء الله .
صمتت ملاذ وهي تتخيل ملامح والدها عند سماع الخبر !

قامت أم منتظر وهي تدعو الله أن يتمم الأمر على خير وان يجمع شمل ابنها بهذه الفتاة ، أما ملاذ فما كان منها إلاّ أن دعت الله أن يفعل ما فيه رضاهُ سبحانه وما فيه صلاح أمرها وأمر ذلك الشاب .

الفصل الثالث عشر

وفي اليوم التالي من رؤية أم منتظر لملاذ قام زوجها بزيارة صاحبهِ في منزله وهناك دار بينهما هذا الحديث :
ـ أنت تعرف يا صاحبي قدرك في قلبي ..
ـ أشكرك يا كريم .
ـ الشكر لله يا أبا ملاذ ، وكُلّي أمل اليوم أن أأخذ موافقتك على أمرٍ ما .
ـ خير إن شاء الله ؟
ـ أتشرف أنا وابني وكل عائلتي أن يحصل القرب بيننا أكثر من خلال طلب يد ابنتك ملاذ لأبني منتظر .
صمت حامد وقد أحمرّت عيناه من الغيظ ، لم يتحمل هذا الكلام قام واقفاً على قدميه محاولاً إنهاء الحديث .. مدَّ يدهُ إلى صاحبه قائلاً :
ـ سأفكر بالموضوع !
تفاجأ أبو منتظر من هذا التصرف الغريب فقام ومدَّ يدهُ هو الآخر قائلاً بألم :
ـ المدّة مفتوحة أمامك ، إن كنت تريد السؤال عنّا وعن أخلاقنا وسُمعتنا يمكنك ذلك إلى أن تحصل الموافقة إن شاء الله أنا أنتظر الرد ، في أمان الله .
شعر أبو ملاذ بالخجل من سوء تصرفه .. لكن لماذا هو يفعل ذلك ؟ لماذا يُجازي هذه العائلة بهذا الجزاء السيء !؟ ألم يقفوا معهُ في تلك الأيام الصعبة ؟ ألم ينقذوا حياة ابنته الوحيدة ؟ إذاً لماذا يُسيء التصرف معهم هكذا في حين إنهم يريدون التقرب منه ليس إلاّ !
أسئلة كثيرة كان صوت الضمير يطرحها على حامد ولكن يأتي صوت الشيطان ليقول له : إنهم يريدون اختطاف ابنتك الوحيدة .. إنهم أداروا دماغها وغسلوه وجعلوها تُشعرك بعدم تربيتها تربيةً صحيحة وبأنك مقصر معها ! إنهم ...إنهم ... إنهم

صاح وقد وضع يدهُ على رأسه :
ـ لن أسمح لهم بذلك أبداً ! ليس لدي غيرها ، ليتهم لم يساعدوني ، ليتهم جعلوها تموت قبل أن أراها تبيعني هكذا ... ! كيف سأفارقها ؟ كيف سيكون البيت من دونها ... كيف ..كيف ؟؟

كان والدها يشعر بأنها ملكهُ وحدهُ ولا يمكن أن تكون لرجلٍ آخر .. لقد ربّاها وكان سعيه كلّه لأجلها .. اشترى لها أجمل الملابس وأجلسها أمام أحدث الأجهزة وأرقاها ، فلم تضجر يوماً أو تلومه أو تعتب عليه ، أما الآن فلقد تركت كل شيء .. تركت الملابس الفاخرة والأجهزة المتنوعة ، تركت تلك الحياة وصارت تعيش حياةً أخرى .. بسببهم هم ! وسيجعلونها تتركهُ هو الآخر ! يا للفاجعة .. يا للهول ! ظل الشيطان يوسوس له طوال تلك الليلة ، كان أبو ملاذ ناسياً أن الروح تحتاج إلى غذاء كما أن الجسد يحتاج إلى غذاء ..
لقد نسى أن يُغذّي روح فتاته ويُربّي نفسها .. كان يظن أنهُ بتغذيتها أحسن الغذاء وبترفيهها بتلك الأدوات الحديثة وبلبسها أفضل وأرقى الملابس فأنهُ ربّاها ! لم يعرف إن التربية هي تربية النفس والروح لا تربية الأعضاء والجسد.

* * *

وفي الصباح كان حامد قد قرر أن لا يذهب إلى العمل لهذا اليوم لأنه يشعر بالتعب والإرهاق .. سألته ملاذ عن السبب فلم يُكلمها وأدار بوجههِ عنها .
إتجه نحو التلفاز وشغّل ذلك الجهاز وجلس يستمع لـ (أغاني الصباح) !
تعجبت ملاذ من تصرفهِ هذا فهو لا يعرف من ذلك الجهاز غير (نشرة الأخبار) !!
تركتهُ وذهبت إلى غرفتها ، لكن صوت الغناء بدأ يرتفع شيئاً فشيئاً ، شعرت بشعور غريب ! إنها قشعريرة تسري في جميع بدنها ! لقد تركت سماع الأغاني منذ شهور منذ أبلغها منتظر بأنها (حرام) وهي اليوم ولأول مرة بعد تلك الفترة تطرق مسامعها تلك الكلمات الشيطانية .. أحست بأنها تريد التقيؤ !
تساءلت مع نفسها : هل من المعقول إنني صرتُ أكره سماع الأغاني إلى هذه الدرجة ؟ أنا التي لم يكن شيء يُلهيني عنها ، أغدو اليوم كارهةً لها !!
صارت تحمدُ الله على هذه النعمة ، وهي تتذكر ما كان يقوله منتظر لها بهذا الخصوص : إنك ستكرهين الغناء يا ملاذ عندما تمنعين نفسك عن الاستماع إليها لفترةٍ ما ، لأن النفس كالطفل الصغير عندما تعودّينها على شيء ستعتاد عليه وستنقاد لكِ ولو بعد جهادٍ طويل ! وكما يقول الشاعر :
النفس كالطفلِ إن تتركه شبّ على   حبِّ الرضاع وان تفطمه ينفطمُ !

وها هي نفسها اليوم تنقاد لإرادتها القوية وقد صارت تكره سماع تلك الكلمات .. إنـها نعمة عظيمة .

لم تتحمل ملاذ سماع صوت ذلك المطرب رغم إنهُ كان المفضّل لديها ! فتحت باب غرفتها واتجهت حيث يجلس والدها ، حاولت التكلم معه لكن ما من فائدة .. اتجهت نحو التلفاز فخفضت صوته ثم قالت له :

ـ استميحك عذراً يا أبتي .. لكني أريد أن أكلمك وهذهِ الأغاني تجعلك لا تسمع صوتي ..

ـ ما الذي تريدينه أيتها الفتاة الوقِحة ؟!

ـ أبي أرجوك فقط أسمعني لحظات .. إن هناك فرق كبير بين الدار التي تسكنها الملائكة والدار التي ترتادها الشياطين!

فلقد جاء عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) : ((إن الدار التي يُسمع فيها الغناء لا يُستجاب فيها الدعاء ولا تدخلُها الملائكة)) .

بعد هذه الكلمات التي كانت تخرج من قلبها الصادق قام والدها من مكانه بحركةٍ سريعة مدَّ يدهُ ليضربها .. كانت صفعة قوية جعلتها تسقط أرضاً ثم قام بركلها بقدمه ، وهو يصرخ بصوت شيطاني :

ـ لم أعد أحتمل أسلوبك الوقح ، تباً لكِ ولتلك العائلة .

سحبها من شعرها وأوقفها على قدميها وهو ما يزال يُمسك بشعرها ، قرّب رأسها من الجدار وصار يضربها به حتى فقدت الوعي !

نظر إليها وهي مُلقاة أمامه بلا حراك .. تركها واتجه نحو باب الدار وهو يصرخ كالمسعور :

ـ ليتكِ تموتين .. ليتكِ تموتين !

كانت الدماء تسيل من رأسها عندما أفاقت ، حينها تذكرت ما حدث ! الألم يصدع برأسها والدم يسيل من أعلى جبينها دون توقف!

أدارت بوجهها في أرجاء الغرفة ـ وهي ترتجف ـ لم ترَ أباها .. بحثت عنه في كل المنزل فلم تجده .. لقد تركها وخرج ! حاولت الاقتراب من جهاز الهاتف ، وصلت إليه.. رفعت السماعة وأدارت الرقم الذي لا تعرف غيره ..

رفعت السماعة أم منتظر وما أن سمعت ملاذ صوتها حتى بدأت بالبكاء !

صاحت أم منتظر بعد أن عرفت صوت المتحدثة :

ـ ملاذ ! ما بكِ ؟ هل حدث مكروه ؟

أجابت ملاذ بصوت متقطع :
ـ خالتي ... أنا بحاجة إلى مساعدتك ، رأسي ينزف دماً دون توقف !
صاحت أم منتظر : ماذا ؟ سأكون عندك حالاً !
جاء منتظر على أثر صياح أمه ، سألها عن الأمر فأخبرته ، لم يعرف ماذا يفعل حينها .. ركض نحو الباب صاحت به أمه :
ـ ماذا ستفعل ؟!
ـ سأذهب إليها طبعاً !
ـ انتظرني سآتي معك .
ركب الاثنان سيارة الأجرة متجهان نحو منزلها وما أن وصلا حتى وجدا باب المنزل قد تُرك مفتوحاً ، دخل منتظر مسرعاً وهو يصرخ بلا وعي :
ـ ملاذ ... ملاذ أين أنتِ ؟
لم يكن هناك أحد داخل الصالة ، رأى الدماء على الحائط وعلى الأرض ! كانت ملاذ تسمع صوته وهي في غرفتها بعد ان أخذ منها النزف كل مأخذ ، ارتدت حجابها بصعوبة بعد أن ربطت جبينها بقطعة قماش محاولة قطع نزيف الدم ، فتحت باب الغرفة بيدين مرتجفتين ، خرجت وجاءت عيناها بعيني منتظر ، اتجهت
نحوهُ وقد غسلت الدموع وجهها الملائكي.. أما هو فلقد وقف صامتاً ، كانت تتقدم نحوه وما أن وصلت بقربه حتى سقطت أرضاً مُغماً عليها ، ركضت والدته اتجاهها وهو مازال واقفاً بلا حراك وكأنهُ لا يصدق ما يرى ! فبعد كل تلك الفترة من الفراق هو يراها الآن بهذا المنظر وبهذا الموقف ثم لا يستطيع أن يقترب منها !
وأخيراً استرجع قواه قائلاً :
ـ أماه .. سأذهب لأحضر سيارة أجرة إلى باب الدار وأنتِ حاولي بأي طريقة أن تجعليها تستعيد وعيها .
هرول راكضاً نحو الخارج وما كان من أمه إلا أن إحضنتت الفتاة وهي تبكي وتستغيث بالدعاء :
ـ ما الذي حلّ بكِ يا فتاتي الغالية ؟ ما الذي أصابك أيتها العزيزة ؟
بعد عشر دقائق تقريباً كان الاثنان قد أوصلاها إلى المستشفى وهناك تلقت العلاج من الطبيب الذي حاول جاهداً ايقاف النزف وتعقيم الجرح ثم ربطه .

كان منتظر طوال فترة العلاج واقفاً خارج الغرفة ينتظر بترقب ، خرجت أمه بادرها بالسؤال :
ـ ها يا أماه .. هل تحسنت ؟
ـ نعم .. الحمد لله .
وفي هذه الأثناء خرج الطبيب من الغرفة ووجّه كلامه إلى أم منتظر قائلاً :
ـ هل أنتِ والدتها ؟
ـ نعم .. نعم يا دكتور .
ـ حسناً أرجو الاهتمام بها أكثر فهي تحتاج إلى مزيد من العناية .
دخل الاثنان بعد ذلك إلى الغرفة وما أن رأتهما ملاذ حتى حاولت النهوض اتجهت إليها أم منتظر وساعدتها على الإتكاء والجلوس .
قالت ملاذ وهي تمسك بيد أم منتظر محاولةً الاستناد عليها :
ـ لا أعرف كيف أشكركم ، فها أنتم تنقذون حياتي مرةَ أخرى!
أجابتها أم منتظر :
ـ ما هذا الكلام يا ملاذ .. تشكريننا ! ومن نحن ؟
ألسنا عائلتكِ ؟
قال منتظر وشرارة الغضب تتطاير من عينيه :
ـ من قام بضربكِ ؟
(تصمت ملاذ دون إجابة) ويعيد منتظر السؤال بعصبية :
ـ أخبريني بربكِ ، هل هو أبوك ؟
ـ نعم يا منتظر إنهُ هو !
ـ ولماذا فعل ذلك ؟ لماذا هذه القسوة وهذا الجبروت ؟ لم نعهدهُ هكذا من قبل ؟ ما الذي تغيّر !
أجابت ملاذ وقد تلألأت دمعتان في عينيها :
ـ أنا يا منتظر .. أنا التي تغيرت وهذا ما لا يطيقهُ أبي !
وبدأت تسرد لهم القصة وما أن انتهت حتى بادرتها أم منتظر بالقول :
ـ هل تريدين الصراحة يا ملاذ .. تصرفك هذا كان فيه شيء من الجرأة على والدك .. وما كان يجب أن تتصرفي كذلك وهو في هذه العصبية ! ثم إن معظم الآباء يا ابنتي لا يتحملون أن ينصحهم أبناؤهم بل إن بعضهم يشعرون بصحّة أراء أبنائهم لكنهم لا يعترفون بأخطائهم تلك حيث تأخذهم العزّة بالإثم !

ـ صدقيني يا خالتي أنا لم أره بتلك العصبية من قبل بل عندما تكلمت معه بخصوص الغناء لم أكن أعرف حينها إن قلبهُ قد حمل عليّ كل هذا البغض والحقد بحيث إنهُ كان يريد أي فرصة تمكنّه من ضربي مع إنه لم يفعلها سابقاً بل هذه أول مرة في حياته يضربني فيها !
وضعت ملاذ يدها على وجهها وصارت تبكي بحرقة في حين كانت أم منتظر تحاول تهدئتها ..
قال منتظر :
ـ يجب أن نُعيدك إلى المنزل حالاً وإلاّ سيتفاقم الموقف إلى أكثر من هذا .. يجب ان تكوني هناك قبل عودته .
أمسكت ملاذ بثياب أم منتظر كالطفلة الصغيرة وهي تقول :
ـ أرجوكم لا تتركوني لوحدي معه .. إبقوا معي ، سيقتلني إن تركتموني ..إنهُ صار يكرهني ولا يطيق رؤيتي !
كان منتظر يسمع تلك الكلمات وقلبه يتقطع ألماً .. قال لها بصوتٍ مخنوق :
ـ لو كان الأمر بيدي يا ملاذ ما تركتك لحظة واحدة معهُ بعد الآن ، لكن أنتِ تعرفين .. إنهُ أبوك ولا يمكنني التدخل بينكما وخاصة أنهُ يحاول جاهداً أن يبعدك عنا كما قرأ أبي ذلك في عينيه يوم أمس !
قالت ملاذ وهي تمسح دموعها :
ـ ماذا ؟ لم أفهم ...!
ـ نعم يا ملاذ .. لقد شعر أبي إن والدك امتعض كثيراً عندما تكلم معه بموضوع طلب يدكِ ، حتى إنه طرد أبي بطريقة غير مباشرة !
صاحت ملاذ :
ـ طردهُ !
قالت أم منتظر :
ـ لا تضخّم الموضوع يا بُني ، كل ما في الأمر إن أباك حسّاس جداً فالأمر لا يستحق الاستياء مطلقاً ، المهم الآن أن ترجع ملاذ قبل عودة والدها وسيفعل الله ما فيه كل الخير بإذنه تعالى .
وبعد ساعة تقريباً عاد والدها إلى الدار وبحث عنها فوجدها نائمة على سريرها وقد عالجت نفسها بنفسها .. هكذا كان يظن !

* * *

بعد مرور عدّة أيام عاود كريم زيارة صاحبه لكن هذه المرة في مقر عمله وحاول أن يأخذ منهُ القرار النهائي فقابله أبو ملاذ بالقول :
ـ أعتذر يا صاحبي .. إن ابنكم إلى الآن لم يكوّن نفسه ، إنه لا يملك شيئاً وإني غير مجبر على أن أزوّج ابنتي لشاب فقير بل مُعدم مثل منتظر !
قال أبو منتظر محاولاً جعل الأمر طبيعي :

ـ نحن الآن لا نريدهما أن يتزوجا .. فقط خطبة يا رجل ! وبعد أشهر سيكون ابني قد حصل على وظيفة إن شاء الله فأنت تعرف إنه تخرّج هذه السنة من الجامعة والمستقبل أمامه مفتوح ...
ـ لا يا أبا منتظر ، إنني عندما أقرر أن أزوّج ابنتي فسيكون الزواج سريعاً بدون فترة خطوبة وكلام فارغ !
قام أبو منتظر قبل أن يتكرر ذلك الطرد ! شكر صاحبه وخرج .
وعند عودته إلى المنزل سرد القصة لزوجته التي استاءت كثيراً وبكت على مصير تلك الفتاة حيث قالت لزوجها :
ـ صدّقني يا كريم أنا قلقة لأجلها وليس لأجل منتظر فأبننا يمكن أن يحصل على بنت الحلال ، لكن هي من لها ؟! ومن يضمن إن أباها سيعطيها لمن يستحقها .. هذا إن قرر فعلاً تزويجها !
ـ نحنُ مؤمنون يا امرأة .. مؤمنون بأن الله لا يفعل إلاّ ما فيه مصلحة البشر ، فلندع الأمر لرب العزّة وهو يفعل ما يشاء .
نقلت الوالدة كل ما دار بينها وبين زوجها إلى أبنها الذي ما أن سمع هذا الكلام حتى أقنعها بأن كلام أبيه صحيح مئة بالمئة ، ثم ردّد مع نفسه : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ...

كان منتظر يحاول أن يبدو أمام والدته هادئاً وكأنه يعرف هذه النتيجة مسبقاً !
قام ودخل الغرفة وهناك صار يحدّث نفسه :
ـ أنا فقير ولا أملك من الأموال والأملاك شيئاً وهو من حقه أن يزوج أبنته لرجلٍ غني !
ثم صار يتكلم بصوتٍ مخنوق متقطع :

ـ نعم غني .. رجل غني ، لكن من يضمن له إن ذلك الغني سيُسعد ابنته ؟ هل المال كل شيء في هذه الحياة ؟ هو يعرف جيداً إنها مقتنعة بي وستكون سعيدة معي ..
إذاً لماذا يفعل بها ذلك ؟ إن كان يحبها لماذا لا يجعلها تعيش مع من اختارته هي .. لماذا يفعل الآباء ببناتهم هكذا ؟
أين سيذهبون من عذاب الله ؟ لماذا يسيرون وراء نداء الشيطان ؟ أين سيفرّون من انتقام رب العزّة وعذابه ؟ أين ؟ أين ؟!!

الفصل الرابع عشر

ها هي الأيام والأشهر تمضي ، كانت أم منتظر تطل على ابنها صباح كل يوم ... تحدّثهُ وتشد من عزيمته فوضعه كان متوتراً بعض الشيء ... إلى الآن هو بدون عمل ! وهي مازالت تلح في مسألة زواجه لكن الرياح كانت لا تأتي بما تشتهي السفن !

وفي أحد الأيام دخل والد منتظر وهو في غاية الفرح وما أن جلس قليلاً ليستريح حتى زفَّ لعائلته خبر حصول منتظر على عمل في أحد أكبر المصانع في بلادهم ..

ولم يمضِ شهر واحد على عملهِ في ذلك المصنع حتى تقاضى منتظر راتباً مع مكافأة مجزية من مدير المصنع لما رأى على منتظر من سيماء التقوى والصلاح والإخلاص في العمل .

جاء منتظر إلى أمه في ذلك اليوم وقد لاحت ملامح السرور على وجههِ ..

استقبلته كالعادة بوجهها الباسم ...

- ساعدك الله يا بُني ..

- وساعدكِ يا أماه ، هل أتى أبي من العمل ؟

- لماذا تسأل عنه ، أنت تعرف إنهُ يأتي بعد مجيئك بساعة تقريباً ! هل هناك أمر ما يا عزيزي ؟

- نعم هناك !

- خير إن شاء الله ؟

- أريدهُ أن يذهب يوم غد ليقابل أبا ملاذ ، ويخبره إنني حصلت على عمل بل واستلمت المرتب الشهري وهو أعلى مرتب بالنسبة لباقي الموظفين .

أذعن أبو منتظر لطلب ولده وعاود زيارة صاحبه ولم تكن إجابته هذه المرة تختلف عن المرة السابقة !!

خرج أبو منتظر من منزل صاحبه وقد قرر أن لا يعاود طلب يد تلك الفتاة لابنهِ بعد هذه المرة أبداً .

الفصل الخامس عشر

جلس منتظر يُقلّب صفحات ذلك الكتاب الذي أهدتهُ إياه أمه في عيد ميلاده وقد مضى على تلك الحادثة سنة ونصف تقريباً ، فكّر مع نفسه قائلاً : لا أعرف إن كانت أمي مازالت تريدني أن أتزوج أم إنها غيّرت رأيها بعد كل هذه الفترة ؟!
قطع كلامه مع نفسهِ صوتٌ نتج عن طرق باب غرفته ، إنتبه كمن ينهض من النوم مرعوباً !
صاح : من ؟ من الطارق ؟
أجابه صوت والدهُ : أنا يا منتظر ، عندي خبر سعيد !
قال منتظر بلهفة بعد أن فتح الباب : خير إن شاء الله ؟
ـ كل الخير يا ولدي .. لقد قرر عمك فارس العودة إلى أرض الوطن بعد كل هذه السنين !
تهللت أسارير منتظر وهو يسمع هذا الخبر ، صاح وهو لا يصدق ما يسمع :
ـ ماذا عمي فارس ! هل تمزح يا أبي ...
ـ لا صدّقني يا بُني إنها الحقيقة ، لقد انتهيت من مهاتفته توّاً وقد أكّد لي هذا الخبر .
كان فارس من أعز الأصدقاء لكريم وحامد .. إذ كانوا يشكلون (الثلاثي الوفي) بعلاقتهم الحميمة تلك .
أتصل أبو منتظر بصاحبه ليخبره بمجيء ثالثهم والذي فصلته الغربة عنهما ، رفع الهاتف ابو ملاذ وتبادل السلام مع أبي منتظر محاولين تناسي أحداث الخطبة وما تبعها من كسر قلوب وجرح مشاعر ... قال أبو منتظر بصوته الشجي الحنين :
ـ هل تعرف يا أبا ملاذ إن فارس سيرجع عن قريب ؟
ـ من ؟ فارس ! يا الله ! يا الله ! إنه لخبرٌ سعيد .
ـ نعم يا حامد سيرجع فارس وسيرجع لمّ الشمل كما كنا من قبل إن شاء الله .
وهنا حاول أبو ملاذ أن يُنهي المكالمة بأي طريقة كانت بعد أن تخيل ان العلاقة سترجع بينه وبين عائلة أبو منتظر !!
أقفل الهاتف وحاول أن لا يفكر إلاّ برؤية ذلك الصديق الحبيب فارس .

لقد كان فارس محبوباً لدى الجميع كباراً وصغاراً ، حيث كان يتمتع بشخصية قوية ولطيفة في الوقت ذاته ، سافر إلى الخارج ليكمل دراسة الماجستير والدكتوراه في العلوم الإسلامية وكان يمتلك قدرة كبيرة على الخطابة ونظم الشعر وكتابة المقالات الأدبية ، لذلك ما إن أكمل دراسته وأخذ شهادة الدكتوراه حتى صار أستاذاً للعلوم الإسلامية في إحدى الجامعات العربية في بلاد الغرب ورئيس تحرير لمجلة تعنى بالشباب ومشاكلهم .

جاء ذلك اليوم الذي أخبرهم فارس بموعده وهو يوم عودته لأرض الوطن مرةً أخرى .. لكنه لم يقل لهم أين يمكن أن يستقبلوه ! وفي أي وقت بالضبط !
لذلك كان كل من أبي منتظر وأبي ملاذ قد هيّأ منزليهما لاستقبال ذلك الضيف العزيز وهما في حالة من الإنتظار والترقب .
وفي تمام الساعة العاشرة صباحاً كان فارس يقف على أرض الوطن بعد فراق دام أكثر من ثمان سنوات وما ان لمست قدماه تلك الأرض حتى سجد لله شاكراً وأخذ يشمّ ويُقبّل ترابها وهو يردّد والدموع قد غسلت وجهه :
ـ ما أجمل العودة إليك يا وطني ! وما أطيب نسيم هوائك ...
اتجه إلى منزل أحد أقاربه في تلك البلدة ومن هناك أتصل بأبي منتظر ...
ودار بينهما هذا الحديث :

ـ السلامُ عليك يا أبا منتظر ..
ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .
ـ ألم تعرفني !؟
ـ عذراً .. لم أسمع صوتك من قبل !
ـ هل يمكن ذلك ؟ لكني اتصلت بك قبل ثلاثة أيام ... هل نسيت صوتي يا كريم !
ـ هل من المعقول إنك ... إنك ... فارس !
ـ ولِم لا يا كريم ؟
ـ ولكن صوتك تغيرّ عن كل مرة تكلمني فيها !
ـ السبب بسيط .. فكل مرة أُحدّثك والمسافات بيننا آلاف الكيلومترات فيصلك صوتي ضعيفاً ومتقطعاً ، أما اليوم فأنا أُحدثك من داخل الوطن الحبيب !
ـ ماذا ؟ هل وصلت ! ولكن متى ؟ لماذا لم تأتِ إلى المنزل مباشرةً يا رجل !

ـ بصراحة لقد خفت أن أتجه إلى منزلك فيزعل أبو ملاذ أو أتجه إلى منزله فتزعل أنت ! وحلاً لهذه المشكلة فأنا الآن في بيت خالتي أم سالم .. وأطلب منكما أن تأتيا حالاً لأني بأشد الشوق لرؤيتكما .
ـ ثوانٍ ونكون عندك أيها الحبيب ، سأتصل بحامد حالاً ..
ـ لا ... لا يا صديقي ، سأتصل أنا به وأخبرهُ بما أخبرتك ، فلا تتأخر عليّ يا صاحبي ولا تنسى أن تجلب معك جميع أفراد عائلتك فإني بأشد الشوق إليهم .
وبعد ربع ساعة تقريباً كان أبو منتظر مع ولدهِ منتظر عند باب منزل أم سالم ... طرق ابو منتظر الباب بيدين ترتجفان ، فتح الباب شاب في مقتبل العمر ، سلمّ عليه الاثنان وأدخلهما إلى داخل المنزل ، وفي غرفة الجلوس كان فارس قد جلس وإلتف حوله كل من خالته وأبناؤها ، وما أن دخل أبو منتظر حتى وقف فارس وقد تغيرت ملامحه .. فتح ذراعيه لاستقبال صاحبه وقد خنقتهُ العبرة .. رمى أبو منتظر بنفسهِ على صاحبه وهو يبكي كالأم الثكلى !
كان كل منهما قد وضع رأسه على كتف صاحبهِ وأخذا ينحبان دون أن يتكلما بكلمةٍ واحدة !

كانت لغة الدموع أقوى من لغة الكلمات .. بكى جميع من في الغرفة لحرارة الموقف ثم إلتفتَ فارس إلى الشاب القادم مع صاحبه ..
قال وهو يمسح دموعه ويمد يده نحو ذلك الشاب :
ـهل أنت منتظر ؟!
رمى منتظر هو الآخر بنفسهِ نحو فارس وهو يردد بصوتٍ شجي حزين :
ـ نعم يا عماه ... أنا هو !
ـ لقد كبرت يا ولد ! تركتك طفلاً !
ابتسم منتظر وهو يمسح دموعه قائلاً :
ـ ليس إلى هذه الدرجة يا عم ! كنتُ حينها ابن السادسة عشر !
ضحك فارس ثم قال :
ـستبقى في نظري ذلك الطفل الذي ينتظر قدومي لأحمل إليه البسكويت و الشوكولاته !
ضحك الجميع وجلسوا يتبادلون كلمات الشوق التي تُميّز ساعة اللقاء ، وبعد دقائق وصل أبو ملاذ الذي لم يستطع أن يُمسك نفسه عن البكاء هو الآخر ما إن

وقعت عيناه على صاحبه الذي غيرته أيام الغربة كثيراً ، فصار نحيل الجسم قد ملأ الشيب رأسه ولحيته ..

وأخيراً التأمَ شمل الأصدقاء الثلاثة كما كان سابقاً ، وبعد حديث طويل سأل فارس صديقهُ كريم :

ـ لماذا لا أرى باقي أفراد الأسرة معك يا أبا منتظر ؟

ـ إنهم يهيئون المنزل لاستقبالك اليوم على العشاء !

ـ كان بودّي ذلك صدّقني ، لكنّي لا أستطيع اليوم والأيام القادمة كثيرة سأقسمها بينك وبين أبي ملاذ ! ولكن صحيح يا حامد ... كيف حال الصغيرة ملاذ ؟ ولماذا لم تجلبها معك ؟ كم اشتقتُ إلى رؤيتها !

ابتسم حامد وقال :

ـ إنها لم تعد صغيرة يا صاحبي .. ولقد أرادت المجيء معي لرؤيتك لكني أخبرتها إنك ستزورنا عن قريب ..

ـ نعم ... نعم إن شاء الله ، سأقضي هذا الأسبوع عند خالتي الغالية أم سالم فهي تُذكرّني كثيراً بأمي رحمها الله .. والأسبوع الثاني سأقضيه معك والثالث مع أبي منتظر بإذنه تعالى .

الفصل السادس عشر

قضى فارس أسبوعه الأول في بيت خالته كما أخبر صاحبيه وبعدها اتجه نحو منزل صاحبه حامد ليقضي الأسبوع الثاني هناك كما وعده .
عندما وصل فارس إلى المنزل كان حامد وابنته في كامل الاستعداد لاستقبال ضيفهم العزيز ، بعد وصول الضيف بدقائق كانت ملاذ قد أعدّت العصير والكعك ودخلت تحملهما وهي بكامل حجابها وقد أخذتها اللهفة لرؤية عمها الغالي فارس ..
قام فارس واقفاً وقد بهرهُ منظر تلك الفتاة ..
كانت علامات التعجب بادية عليه وهو ينظر إليها وقد كبرت وأصبحت فتاة ناضجة وكما هو الظاهر إنها فتاة مثقفة وملتزمة في نفس الوقت .
قالت وهي تقدّم له العصير :
-الحمدُ لله على سلامتك يا عم ..
- أهلاً بكِ يا ملاذ .. ما شاء الله !! لقد تغيرتِ كثيراً أيتها الغالية !
بدا الحياء واضحاً على محيّاها وهي تهمُّ بالخروج من الغرفة .
قال أبو ملاذ :
- لقد مرّت سنين طوال على سفرك يا رجل .. فلماذا تريد أن يكون كل شيء باقياً على الحال الذي تركتهُ عليه !
ضحك الرجلان وقضيا تلك الليلة بالأحاديث الدافئة والجميلة وبإعادة صور الماضي وذكريات الشباب والعزوبية .
مرّت ثلاثة أيام على تواجد فارس في منزل صاحبه وفي إحدى الصباحات وبينما كانت ملاذ تحضرّ طعام الأفطار دخل فارس المطبخ واستغل الفرصة ليسألها عن أمور كثيرة تدور في باله ويبحث لها عن إجابة ... بادرها قائلاً :
- هل لي أن أسأل عن أشياء مازالت غامضة بالنسبة لي يا ملاذ ؟
- تفضّل يا عم .. أنا بالخدمة .
- إنني أراك اليوم وقد التزمت بتعاليم الدين الحنيف بالرغم من إنني تركتكِ وكنتِ مازلتِ في سن الثانية عشر أو الثالثة عشر أي كنتِ حينها (مُكلفة) شرعاً ورغم هذا لم تكوني قد جربتِ لبس الحجاب أو الصلاة والصيام .. صح ؟!

ـ نعم بالضبط .
ـ وأعرف إن السبب في ذلك هو والدكِ ، حتى إنني كنتُ دائماً أنصحهُ بأن يعلمك تعاليم الإسلام .. إلاّ إنهُ كان يرفض ويتعذر بأنكِ مازلتِ صغيرة !
والحقيقة إنني قبل أن أعود إلى أرض الوطن كنتُ أتخيّل بأنني سأجد عند عودتي تلك الفتاة نفسها دون أن يحاول والدها توعيتها أو إرشادها ولكني وجدتك على غير ذلك ! والأعجب من هذا إنهُ مايزال على حاله ! فمن هو الذي إلتزم بهدايتك وإرشادكِ وأنتِ لا تملكين غيره ؟!
ابتسمت ملاذ وقالت :
ـ هل أقول لك الحقيقة وتعدني أن تبقى سراً بيننا ؟
ـ وماذا تعرفين عن عمكِ فارس !
ـ كل خير ...
ـ إذاً وضّحي لي الأمر ..
بدأت ملاذ تسرد قصتها لفارس منذ تركها صبية صغيرة إلى المرحلة التي وصلت إليها وما يراهُ عليها من تغيرات كثيرة ..
بدت على فارس علامات الرضا والارتياح بعد أن عرف ما كان يصبو إلى معرفته !
قال لها مبتسماً :
ـ فإذاً منتظر كان السبب في هدايتك ..
قالت وقد بدت مرتبكة بعض الشيء :
ـ أرجوك يا عم ، إحذر أن يسمع أبي هذه الجملة منك فتثور ثائرته !
ـ لماذا ؟
ـ لا أعرف .. فعلاً لا أعرف !
قال فارس مندهشاً :
ـ عجيب ! ما بهِ هذا الرجل ؟ ألا يفرح أن تتجه ابنته نحو الطريق الصحيح وتسير في طريق الحق والهداية ؟! ثم إنني يا ملاذ أريد أن أحدثك بموضوع آخر وهذه فرصتي مادام أبوكِ ما يزال نائماً !
ـ تفضل يا عم ..
ـ ألم تحاولي أن تتكلمي مع أبيك حول موضوع الصلاة ؟
ـ لم أفهم قصدك !

-إنّ أباك - كما هو واضح - إلى الآن لم يُجرِّب أن يقف أمام الخالق عز وجل ليؤدي فريضة الصلاة ولو لمرة واحدة في حياته !
لقد تركته على هذا الحال من اللامبالاة ، والآن وبعد كل هذه السنين أعود لأجدهُ مازال مُصراً على معصية الخالق عز وجل .. فاليوم هو الرابع من وجودي معكم ولم أره يصلي أبداً !! لماذا لا تكلميه يا ابنتي وأنت فتاة واعية ومدركة جيداً لما ينتج من ترك الإنسان لصلاته ؟
- آه يا عم .. لقد حاولت مرة واحدة أن أُحدثهُ بخصوص حُرمة الغناء ، فلا تتصور عندها ماذا فعل بي ! لقد ضربني وشجَّ رأسي وتركني أنزف ثم خرج !
- هل وصل حامد إلى هذه الدرجة من الظلم ؟ يظلم نفسه ويظلم من معه !
- صدّقني يا عم .. لقد أردتُ أن أُحدثك بنفس الموضوع فأنت صاحبه وقد يستقبل منك أكثر من أي شخص آخر ، انصحهُ وأرشدهُ إلى طريق الحق فما عاد لي قدرة على تحمّل وضعه مع الذنوب والعصيان .
- أنت تعرفين يا ملاذ إن أباك يكبرني بكثير وأنا لهذا السبب أحترمه اشد الاحترام فهو بمثابة أخي الأكبر وهذا ما جعلني لا أتجرأ في الماضي على مفاتحته بهذا الأمر ، لكن اليوم يُحتّم عليَّ الواجب الشرعي أن أنقذه من مخالب الشيطان وأقدم له ما أملك من أدلة وبراهين تُثبت فضاعة ما هو عليه من الابتعاد عن الله جلّ وعلا .
- سأدعو لك يا عم أن توّفق في إقناعه وجعله في ركب التوابين والمُتطهرين .
وفي نفس تلك الليلة قرر فارس مفاتحة صاحبه بالموضوع لكن قبل ذلك ذهب إلى السوق واشترى قلم حبر زاهي اللون وغالي الثمن موضوع في علبة ذهبية ثم قام بتغليفها بشكل جميل وجذّاب ورجع إلى المنزل ليرى صاحبه بانتظاره ، وبعد إلقاء التحية سأله أبو ملاذ :
- أين كنت يا رجل ؟ لقد قلقتُ عليك جداً ..!
- فكرت أن أشتري لك هدية تعبيراً عن حبي ..
ضحك أبو ملاذ وقال له :
- ألا تكفي الهدايا التي حملتها لي عند عودتك إلى الوطن بأن تشعرني بقدري عندك وبحبك لي .. !؟
- لا .. لا تكفي !

ثم قام فارس بتقديم الهدية لصاحبه الذي جذبهُ منظرها كثيراً وبدا عليه الشوق لمعرفة ما بداخلها ، فتحها دون أن ينتظر ودُهش عندما رأى محتواها.. وجّه كلامه لفارس :

- لكنهُ غالي الثمن يا فارس !
- لا يغلو عليك شيء يا أخي ..
- فعلاً إنه رائع ، أشكرك يا أغلى وأعز صديق .. أشكرك من كل قلبي .
ابتسم فارس ابتسامة حزينة ثم قال :
- لكني لم أهب لك سوى قلم فصرت تشكرني بهذا الشكل ! فكيف بالذي وهبك كل هذه النِعَم ؟ وأهمها نعمة الحياة ونعمة قدرة العيش ونعمة السلامة والعافية ، وفوق هذا فأنت تملك منزلاً جميلاً وابنة عفيفة ومؤدبة ووظيفة جيدة ومكانة محترمة بين الناس و ...
قاطعه أبو ملاذ قائلاً :
- ما الذي تريد قوله ؟
- إلى متى يا صاحبي ستبقى غير ملتفت إلى هذه النعم والهدايا ؟
تغيرت ملامح أبو ملاذ وتكلم بطريقة متمردة :
- ومن قال لك بأني غير ملتفت إليها ؟
- لو كنت ملتفتاً إليها لشكرت من وهبك إياها كما شكرتني الآن على هديتي لك مع إنها هدية تافهة بالنسبة للذي وهبك إياه رب العزة .
- أنا أشكره ... لكن في قلبي !
- بربك يا رجل ... ما هذا الكلام !! لو كان الشكر في القلب فقط لما صرتَ تُغدق عليَّ كلمات الشكر والامتنان قبل قليل لمجرد أن وهبتك القلم بينما من وهبك الحياة بأنعمها تشكرهُ بقلبك فقط !
- وكيف تريدني أن أشكرهُ إذاً ؟
- أن تظهر لهُ حبك وإمتنانك وطاعتك .. أن تقف بين يديه الكريمتين لتؤدي صلاةً لا تأخذ من وقتك إلاّ لحظات ، فالميزان الحقيقي لشكر الباري هي (الصلاة) لذلك كانت سورة الفاتحة هي السورة الأساسية التي يجب أن تُقرأ في كل فريضة حيث إن أول جملة من هذه السورة بعد البسملة هي (الحمدُ لله رب العالمين) وواضحٌ من معناها بأننا عندما نقولها فأننا بمثابة من يقول لخالقه : (الشكر لك يا ربي على ما أنعمتهُ عليّ) ولهذا فإن كنت تؤدي الصلاة فأنك

تؤدي الشكر وإن كنت غير مؤدٍ لها فلن يقبل الله منك أي شكر سواء كان في قلبك أو في أي عمل تقوم به ..
ألم تسمع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((الصلاة عمود الدين إن قُبلت قُبل ما سواها ، وإن رُدّت رُدّ ما سواها)) .
بدأ أبو ملاذ وكأنه قد تفاعل مع الموضوع حيث قال لصاحبه وهو مطرق الرأس:
ـ نعم .. أنا أفهم قصدك صدّقني ، بل إنني أتساءل في بعض الأحيان لماذا أنا إلى الآن لم أجرب الصلاة ولو لمرة واحدة في حياتي ..! لكن أعود وأقول إن الله لو لم يكن راضياً عني لعاقبني بالمرض أو الإفلاس أو ...
ـ سبحان الله ... إنك تستعجل العقوبة إذن ... !! حالك كحال الكفار في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) بل في زمن جميع الأنبياء ! فكيف تقول ذلك يا أبا ملاذ ... مع إنني الآن استطيع أن أؤكد بأن الذي يقنعك بهذا الكلام الفارغ هو الشيطان اللعين لا غيره .. لأنك إن صليت سوف تُركِسه على أم رأسهِ وتُرديه صريعاً ! لذلك صار يقنعك بهذا الكلام حتى تبقى في ذنوبك وعصيانك .
ـ إذن لماذا برأيك مايزال الله يُغدق عليّ رغم عصياني ، أوليس لهُ قدرة على جميع عباده ؟ لماذا لا يعاقبني إن كان غير راضٍ عني ... ها !
ـ أولاً هناك عدّة أمور قد حدثت في حياتك يمكن أن تكون تنبيهاً من قبل الله لك كوفاة زوجتك التي أحببتها أكثر من نفسك وكنت مستعد أن تُضحي بكل ما تملك من أجلها فأين هي الآن ؟
ثم مرض ابنتك ووصولها لفم الموت لولا إرادة الله .. كل هذا وأنت ما تزال في جحودك وتكبّرك !
ثم إن استمرار النِعَم والسرور والصحة يا أخي ليس معناه إن الله راضٍ عنك .. فكم من ملوك ظالمين ومتجبرين كان الله يزيدهم أموالاً وبنيناً وقوة ..!
فهل يعني هذا إنهُ راضٍ عنهم ؟ ثم هل يعني إن الفقراء والمرضى هم جميعاً من المغضوب عليهم ! وإن الله غير راضٍ عنهم ؟! طبعاً لا ...
فالصنف الأول ابتلاهم الله بالخير من أموال وبنين وقناطير مقنطرة !
والصنف الثاني ابتلاهم الله بالشر من فقر ومرض وغيره ، يقول تعالى :
((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)) إذاً ما أنت فيه الآن من صحة ووضع اجتماعي جيد وسمعة جيدة قد يكون هذا ابتلاء واختبار من الله ليراك هل تشكر أم تزداد جحوداً وطغياناً !! وكما قال أمير

المؤمنين علي (عليه السلام) : ((يا ابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمهُ وأنت تعصيه فإحذره !)) .
وقال (عليه السلام) أيضاً وهو يحذّر من انتقام الله : ((الحذر ، الحذر ، فوالله لقد ستر حتى كأنهُ غفر !)).
فهذا بالضبط هو الجواب على سؤالك ..
إن الله يستر على عبده حتى وكأنهُ غفر له ذنوبه والحقيقة هي ما يوضحها الإمام علي (عليه السلام) في هذين الحديثين وهو إنك يجب في هذه الحالة أن تحذر الله لا أن تأمنه ! وكما قال تعالى في سورة الأنعام:
((فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ)) !

فهذه هي النتيجة التي يحذرنا منها الإمام علي (عليه السلام) وهي أن يأخذك الله فجأةً من بين أهلك ومالك فترى نفسك وحيداً أمام الله بدون محامٍ ولا كفيل !
وإليك حديث آخر لسيد البلغاء أبي الحسن (عليه السلام) حيث يقول عن تلك اللحظة العظيمة : ((يا ابن آدم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دارٍ تتمنى فيها الموت فلا تجده)) !
ثم هذا زين العابدين السجّاد (عليه السلام) يعلمّنا درساً بليغاً في
الشكر حينما يُناجي الله بالقول : ((إلهي فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر ! فكلما قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد!)).
وفي هذه الكلمات الرائعة يعلمّنا الإمام السجّاد (عليه السلام) إننا لو
قضينا العمر كله بشكر الله فسنبقى مقصرين إتجاهه ! فكيف تريد يا حامد أن تشكرهُ بقلبك فقط وإمامك المعصوم يستغفر الله لأنهُ يشعر بالتقصير في شكره له رغم إنهُ يوصف بالسجاد لكثرة سجوده وعبادته وشكره ! ورغم ذلك فأنهُ (عليه السلام) يشعر بأن هذا قليل في حق الله وفي مقابل الأنعام والآلاء التي وهبها لنا جلّ وعلا ..
ثم ألا تستحي يا رجل من ربك الذي يخبرك بأنك إذا شكرته فسيزيدك وذلك بقوله : ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ
وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)) ، وأنت تأتي وبكل جرأة لتقول : أنا أشكرهُ في قلبي فهذا يكفي ... !!

الرسول المعصوم الطاهر الشريف الخالي من أي زلل سيد ولد آدم يعبد الله حتى تتورم قدماه ونحن الذين سوّدت وجوهنا الذنوب وأثقلت ظهورنا الآثام والمعاصي نشكرهُ في قلوبنا فقط !!

فبالرغم من إمهالنا كل هذه الفترة وعدم مباشرتنا بالعقاب لعلّنا نرجع ونتوب تجد الواحد منا يستكثر صلاة يؤديها ليشكر الله فيها على نعمهِ التي ذكرت في القرآن بقوله : ((وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ
تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)).

والعلاقة بين (الشكر) و (النعمة) علاقة تبادلية فكلما أنعم الله على عبدٍ استدعتهُ النعمة إلى الشكر ، وكلما شكر العبد ربه زاده الله تعالى من نعمهِ كما جاء في الآية الكريمة وزيادة النعم تستدعي مزيد الشكر وهكذا يتم الصعود إلى الله تعالى .

أما إذا تلقى الإنسان النعمة من غير وعي ، فأنها تورثهُ البطر والرياء والغرور والطغيان ((إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى)).

ألا ترى كيف أن الإمام الحسين (عليه السلام) يعترف بنعم الله في دعائه يوم عرفة بالقول : ((اللهم إني أرغب إليك ، وأشهد بالربوبية لك ، مقراً بأنك ربي ، وأن إليك مردّي ، ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً ، وخلقتني من التراب ثم أسكنتني الأصلاب آمناً لريب المنون واختلاف الدهور والسنين فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية ، لم تُخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك ، لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي لهُ يسّرتني وفيه أنشأتني ، ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صُنعك
وسوابغ نعمك فأبتدعت خلقي من مني يُمنى وأسكنتني في ظلماتٍ ثلاث بين لحم ودمٍ وجلد ... ثم أخرجتني إلى الدنيا تامّاً سويّاً ، وحفظتني في المهد طفلاً صبياً ، ورزقتني من الغذاء لبناً مريّاً ، وعطفت عليّ قلوب الحواضن وكفلتني الأمهات الرواحم ، وكلأتني من طوارق الجان وسلمّتني من الزيادة والنقصان ...
حتى إذا أتممت عليّ جميع النعم وصرفت عني كل النِقَم لم يمنَعك جهلي وجُرأتي عليك أن دللتني إلى ما يقربني إليك ووفقتني لما يُزلفني لديك ، فأن دعوتك أجبتني وإن سألتك أعطيتني ، وإن أطعتك شكرتني وإن شكرتك زدتني

، كل ذلك إكمالاً لأنعمك عليّ وإحسانك إليّ ، فسبحانك من مُبديءٍ معيد حميد مجيد ، وتقدّست أسماؤك وعظمُت آلاؤك فأي نعمك يا إلهي أحصي عدداً وذكرا ؟! أم أي عطاياك أقوم بها شكراً ؟! وهي ياربّ أكثر من أن يُحصيها العادّون أو يبلغ علماً بها الحافظون)) .
كان حامد يستمع إلى هذه الكلمات التي وردت في كتاب مفاتيح الجنان وحفظها فارس عن ظهر قلب وقد أدرك حامد لأول مرة في حياته إن هذه الأمور التي وردت في الدعاء هي نِعم وهدايا قد غفل عنها كل هذه السنين ..!!
قام من مكانه بدون أن يتكلم كلمة ، أما فارس فأتجه إلى فراشه وهو يدعو الله أن يهدي صاحبه وينقلهُ إلى ساحل الهداية والإيمان .

الفصل السابع عشر

قضى فارس ذلك الأسبوع في منزل صاحبه أبي ملاذ ثم أتجه بعد ذلك ليقضي الأسبوع القادم في منزل أبي منتظر ...
كان متلهفاً لهذهِ الزيارة حيث إنهُ يشعر بأن كريم أقرب إلى نفسه من حامد ! لما يملكه الأخير من أفكار تختلف تماماً عن أفكاره وميوله ، أما فارس وكريم فلقد كانا يتشابهان في أمورٍ كثيرة .
استقبلت العائلة ضيفها بترحاب كبير ، كان يشعر وهو معهم كأنهُ مع عائلته الحقيقية .. فكم من مرة شعر بالحنين إلى عائلةٍ كبيرة تضمه وتُشعره بالحب والحنان.. هو الوحيد لأبويه الذين فارقا الحياة وهو في بداية شبابه مما حدا به للسفر وإكمال الدراسة خارج البلاد بعد الوحدة التي كان يشعر بها في داخل بلده ، وهناك في بلاد الغربة تزوج لكن شاءت إرادة الله أن تكون زوجته عاقراً لا يمكنها الإنجاب !
ولأنه كان مؤمناً بإرادة الخالق ومخلصاً ومعتزّاً بزوجته جداً فأنهُ لم يشأ استبدالها أو الزواج بغيرها رغم شعورهِ الدائم بالحنين إلى الأطفال..
كان أولاد كريم سعداء جداً بوجود فارس معهم وخاصةً منتظر حيث إنه قد تعلق بهِ منذ صغره .
وفي إحدى الأمسيات وبينما كان الأثنان يجلسان لوحدهما في غرفة الجلوس تحدث فارس مع منتظر قائلاً :
ـ هل لي أن اسألك .. مع أنهُ قد يكون سؤالاً محرجاً ؟!
ـ تفضل يا عم !
ـ لماذا لم تتزوج بعد ؟!
ارتبك منتظر بعض الشيء ثم تساءل مع نفسه : هل يمكن أن يكون قد أخبرهُ أحدهم عن أمر خطبتي لملاذ ؟ لا أظن ذلك !
حاول أن يجعل الأمر طبيعاً جداً فأجاب :
ـ مازال الوقت مبكراً على التفكير بهذا الأمر يا عمي ...
ـ أنت تعرف يا منتظر بأنني متخصص في أمور الشباب ومشاكلهم وإيجاد الحلول لهم من المنظار الإسلامي ولقد رأيت من خلال دراساتي بأن تأخر الزواج إلى هذا العمر أمر سيء للغاية !

تذكر منتظر في هذه الأثناء ذلك الكتاب الذي أهدته لهُ والدته والذي علمّه الكثير .. فهو الآن يدرك جيداً ما معنى كلام فارس بل ويعرف بأنه صحيح مئة بالمئة لكنه كان يحاول التهرب من تذكر الماضي بأي طريقة ، فقال لفارس بعد صمت قصير :

ـ لكني لستُ كبير إلى هذه الدرجة يا عم !

ـ ماذا ؟ أولست في الخامسة والعشرين الآن ... ها ؟ العتب على أبويك ..كان يجب أن يبحثا لك عن بنت الحلال قبل هذا العمر ..

ـ لكن يا عمي .. من يسمعك لا يصدّق إنك قد أكملت دراستك في دول الغرب !

ـ لكني درست هناك العلوم الإسلامية يا منتظر ولم أدرس العلوم الغربية !

صمت منتظر ولم يرد فلقد كان يتمنى ان يسرد لفارس ما حدث لهُ عندما قرر الزواج من ملاذ .. لكنه قرر عدم الخوض في ذلك الحديث أبداً لأنه يسبب له الألم الشديد .. وأخيراً قال :

ـ تريد الصراحة يا عم ؟! لقد ذهبت أمي لرؤية فتيات كثيرات وتقدّمت فعلياً لخطبتهن ... لكن لم يحصل النصيب آنذاك ، كان الأهل يرفضون أحياناً وأحياناً أخرى هُنّ يرفضن لأسباب شخصية ، المهم إنني شعرت حينها إن الله لم يأذن بزواجي بعد !

ـ وأنت .. لم تعجبك أي فتاة طوال هذه السنين !

ـ في الجامعة لم تكن هناك أي فتاة تعجبني ، بل أنني لم أكن أفكر بالزواج أصلاً .. كان لا يهمني إلاّ دراستي وحصولي على الشهادة ثم العمل ، وبعد حصولي على هذه الفرص صارت أمي تصرّ عليّ كثيراً في موضوع الزواج وذهبت بنفسها للخطبة كما أخبرتك لكن بدون جدوى !

كان منتظر صادقاً في كلامه فلقد ذهبت والدته إلى خطبة أكثر من فتاة لكن هذا كلّه حصل بعد خطبته لملاذ التي لم يأتِ على ذكر اسمها مطلقاً طوال حديثه مع فارس !

كان الأخير يتمنى أن يعرف مشاعر منتظر تجاه ملاذ بعد ما عرفهُ منها عن الجهد الذي بذلهُ منتظر لأجل هدايتها إلى طريق الله ..لكنها لم تخبره حينها عن محاولات الحاج كريم المتكررة في خطبتها لإبنه منتظر.. قال فارس لمنتظر في محاولة لمعرفة ما يريد الوصول إليه :

ـ هل تدري يا منتظر ، لقد دُهشت عندما رأيت ملاذ أول مرة بعد رجوعي من سفري !
ارتبك منتظر أشدّ الارتباك عندما سمع هذا الاسم لكنهُ حاول جاهداً أن لا يُبدي حقيقة مشاعره فقال :
ـ ولماذا دُهشت يا عم ؟
ـ لقد كبرت هذه الفتاة وصارت جميلة جداً .. لكن ليس هذا ما أدهشني بل هو شيء آخر ، فلم أكن أتصور بأنني سأرجع لأجد (ابنة حامد) صاحبي الذي لا يعرف من الدين شيئاً قد التزمت بتعاليم الدين بهذا الشكل ! إن حجابها رائع فهو يضيف لجمالها جمالاً آخر ..
لم يتحمل منتظر أن يسمع هذا الوصف من فارس تجاه ملاذ ، فقال وقد استشاط غضباً :
ـ كفاك وصفاً للفتاة يا عم .. ولا تقل بأنك معجب بها !
ابتسم فارس ثم قال :
ـ أولاً إنها المولودة التي اخترتُ أنا اسمها حين ولادتها كما اخترتُ لك اسمك .. فهي ليست إلاّ الطفلة التي أحببتها وهي صغيرة واحترمتها أشد الإحترام وهي كبيرة ، ثم مالك غضبت هكذا عند تحدّثي عنها ؟ ها !!
شعر فارس بأنهُ سيصل إلى الحقيقة التي يسعى إليها لولا إن منتظر صار أذكى منه هذه المرة فقام وقد أغلق الموضوع بالقول :
ـ لقد تأخر الوقت كثيراً وصرتُ أشعر بالنعاس !
لم يدع منتظر فارساً يحصل على أي معلومة منه لكن ظنّهُ صار يزداد بخصوص مشاعر منتظر تجاه تلك الفتاة ، تمتم فارس وهو يهمُّ بالقيام هو الآخر بعد أن ترك منتظر الغرفة :
ـ لن تهرب مني يا منتظر .. سأكشف ما تكنّه لتلك الفتاة ، وإن كان ظنّي في محله فلن أترككما حتى أجمع بينكما بأذن الله تعالى ...
فعلاً هذا ما كان فارس يتمناه من كل قلبه ، أن يجمع بين منتظر وملاذ بعدما رأى منهما أثناء تعايشه مع كليهما ...
فلقد لفت انتباههُ شدّه إيمانهما ، كانا يقضيان الليل بالصلاة والتهجد ويقضيان النهار في العمل والعبادة وكم هي رائعة تلك العائلة التي يمكن أن تتكون منهما لو تزوجا !؟ رجلٌ مؤمن وامرأة صالحة عفيفة فأكيد إن الأبناء سيكونون أبراراً صالحين .

هكذا كان فارس يفكر ويخطط وهو متيقن بأن مشيئة الله فوق كل مشيئة ، أما منتظر فلم يكن يتصور إنه يغار على ملاذ إلى هذه الدرجة ! لماذا انهار بهذه السرعة ؟

قال في نفسه :
ـ لو إنني صبرتُ قليلاً لعرفت منهُ الكثير عن أخبارها !
ثم عاد فطرد هذه الفكرة من بالهِ ، لا .. لا أريد أن أعرف عنها شيئاً ، لأبقى هكذا بعيداً عنها وعن أخبارها .. هذا أفضل !
كان منتظر يخاف أن تعود مشاعر الشوق تلك التي لا تُبقي عليه ولا تذر !
لكن ما الذي جعل فارس يتكلم عنها ؟ هل يكون قد شك في أمري وأمرها ؟!
وإن عرف بالأمر فهل يمكنهُ مساعدتي ؟! هذا ما كان يفكر به صاحبنا في تلك الليلة .

الفصل الثامن عشر

في الصباح كان فارس قد قرر إخبار العائلة بأمر هام ! ففي أثناء اجتماعهم على مائدة الإفطار قال فارس موجهاً كلامه لصاحبه :
ـ ما رأيك يا أبا منتظر أن نقوم بنزهة عائلية إلى شمال البلاد ؟
قال صاحبه وقد أعجبته الفكرة :
ـ اقتراح ممتاز فنحنُ بحاجة فعلاً إلى تغيير الجو .. ما رأيك يا أم منتظر ؟
أبدت الزوجة ارتياحاً لاقتراح الضيف وكذلك الأولاد ..
أكمل فارس :
ـ سأقوم بإخبار حامد حتى يُهيئ نفسه هو وملاذ للذهاب معنا ..
تغيرت الملامح عند تكملة فارس لاقتراحهُ هذا ، قال منتظر وهو أكثر من تغيرت ملامحه !
ـ أظن بأنني لا أستطيع الذهاب .. أعذروني !
صاح فارس :
ـ ماذا ؟! .. أنت بالذات يجب أن تذهب !
قال منتظر وقد استغرب كلام فارس :
ـ ولماذا أنا بالذات ؟!
تلكّأ فارس في البداية ـ فخطتهُ على وشك الفشل ـ ثم قال :
ـ لأنك تبدو كئيباً جداً يا منتظر ، فعملك في ذلك المصنع مُتعِب للغاية وإنك بحاجة إلى إجازة لمدة أسبوع على الأقل .
كان والداه يعرفان سبب اعتذاره عن الذهاب ، فهو لا يريد رؤية ملاذ ولا والدها.
قالت والدته :
ـ دعوا أمر منتظر لي .. أنا سأقنعه !
وفعلاً فما أن دخل منتظر غرفته حتى لحقته وفتحت الموضوع معه :
ـ أنا أعرف يا منتظر لماذا لا تريد الذهاب !
ـ أمي أرجوكِ .. لنغلق الموضوع .
ـ لماذا ؟ لماذا لا تكون هذه فرصة أرسلها الله لإعادة العلاقة بيننا .
ـ لكني لا أريد إعادة تلك العلاقة يا أماه .. أرجوكِ إفهميني !

ـ أنا أعرف إنك خائف من مواجهتك لملاذ بعد كل هذه الفترة .. لكن يا بُني لقد صبرتَ كثيراً وأظن أن الوقت حان لتنال ثمار صبرك .
ـ وأي ثمار هذه يا أماه..؟!
ـ قد يكون والدها أبدل رأيه خلال هذه الفترة أو قد يبدله إذا رآك فيما أنت عليه الآن من منصب وظيفي ممتاز ومكانة اجتماعية جيدة .. أرجوك يا منتظر دَعْ الأمور تجري كما يريد الله وليس كما تريد أنت !
خرجت الأم من الغرفة وقد أقنعت ولدها بالذهاب وكان الجميع ينتظر النتيجة ، قالت وقد وجهت كلامها لفارس :
ـ سيذهب منتظر وستكون سفرة جميلة إن شاء الله .

طار فارس من الفرح واتجه نحو الهاتف وأدار رقم منزل حامد :
ـ ألو .. السلام عليكم ...
ـ وعليكم السلام ورحمة الله .. مَن فارس ؟
ـ نعم .. نعم يا صاحبي ، اسمع أنت مدعو مع ابنتك للذهاب في سفرة إلى شمال البلاد .
ـ لكن مع من ؟
ـ أنا وكريم وعائلته وأنتما طبعاً .
ـ لكن يا فارس ... قاطعهُ فارس بالقول :
ـ لا تتعذر يا رجل ، لن تستطيع رفض دعوتي ولن تجعلني أرحل من الوطن وأنا زعلان منك !
ـ حسناً .. حسناً ، متى سننطلق ؟
ـ بعد غد إن شاء الله في الساعة الثامنة صباحاً .

* * *

في تلك الساعة من ذلك اليوم كان الجميع قد تهيأ للسفر ، قاد منتظر سيارته العائلية إلى منزل أبي ملاذ بعد أن إتصل بهم الأخير وأخبرهم بأنه وأبنته جاهزين .
وفي تمام الساعة الثامنة كانت سيارة منتظر تقف أمام منزل حامد ، خرج الإثنان بعد أن نزل فارس لاستدعائهما ، صعد الأب إلى السيارة وصعدت ملاذ خلفه ، ألقيا التحية وانطلق الجميع في سفرتهم تلك .

طوال ساعات الطريق كان منتظر صامتاً ولم ينبس بكلمة والحديث كان كلّه للأصدقاء الثلاثة ...
فلقد كانوا في غاية السعادة بعد أن جمع الله شملهم من جديد .
حاول أبو ملاذ أن يتناسى ما فعلهُ بكريم وولده قال موجهاً كلامهُ لمنتظر :
ـ مالك لا تتحدث يا منتظر ، شاركنا في الحديث يا رجل !
ـ اعذرني يا عم ، لا أستطيع التكلم وأنا أسوق السيارة ! فهذا يُربكني جداً ..
ـ لماذا .. هل أنت حديث العهد بالسياقة ؟
ـ نعم بالضبط .
ـ متى اشتريت هذه السيارة ؟
ـ قبل شهرين تقريباً .
بعد ساعات طويلة وشاقة وصل الجميع إلى المدينة المقصودة ، كان الوقت قريباً من الغروب ، وسر الجميع كثيراً برؤية الجبال وشلالات المياه وفي اثناء ذلك ذهب منتظر وفارس للبحث
عن منزل كبير يضمهم جميعاً وبعد بحث ليس بالطويل وجدا ضالتهما ،
وصاروا يُنزلون الأغراض إلى داخل ذلك المنزل الجميل الذي يطل على بحيرة كبيرة ..
وبعد أن أخذوا قسطاً قليلاً من الراحة توضأ الجميع ليتجهوا نحو الصلاة فوقت المغرب قد حان ، قال فارس بصوتٍ عالٍ :
ـ ما رأيكم يا شباب أن أُصلّي بكم صلاة جماعة ؟
فرحوا بهذا الاقتراح ما عدا حامد الذي احمرّت عيناه غضباً من فارس ، قال في نفسه : هل يريد إجباري على الصلاة !
وفي حقيقة الأمر لم يرد فارس أن يسبب لصاحبه هذا الإحراج بل إنهُ قد نسى تماماً أن أبا ملاذ لم يصلِّ مرةً في حياته !
بعد دقائق من هذا الاقتراح أدرك فارس ما سبّب لصاحبه من إحراج عندما رآه قد أخرج سيكارة من جيبهِ وأشعلها ثم خرج في الحديقة ليتمشى !
وقف الجميع كباراً وصغاراً خلف فارس في جو إيماني رائع أنساهم تعب السفر وبُعد الطريق .
كانت ملاذ تتمنى أن يقف أبوها معهم بين يدي الخالق ليؤدي تلك الفريضة ،
أخذت حسرة طويلة ثم اتخذت مكانها بين والدة منتظر وأخته الصغرى .. وما

أن بدأ فارس بأداء الأذان بذلك الصوت الشجي حتى تذكرت ملاذ وقوفها لأول مرة للصلاة حيث كان منتظر يقرأ وهي تردد بعدهُ ... !
مضت خمسة أيام على وجودهم في تلك المنطقة السياحية ومازال أمامهم خمسة أيام أخرى ...
كان الجميع يشعر بالفرح والسرور لما تتمتع بهِ تلك المدينة من طبيعة خلاّبة وساحرة ، وفي كل مكان يذهبون إليه في تلك المدينة كانت تتجسد إليهم قدرة الخالق على الإبداع والجمال .
كان فارس ومنتظر لا ينفكان عن التحدث حول القدرة الإلهية في الخلق وبين فترة وأخرى كان يُشير أحدهم إلى إحدى المناظر العجيبة لتلك الجبال الشاهقة والوديان العميقة والصخور المتراكبة بقوله :
ـ سبحان الله ..
إنظروا إلى إبداع خلق الله وعظيم قدرته !

* * *

في ظهيرة اليوم السادس كان كل من فارس وملاذ والأخ الأصغر لمنتظر قد اجتمعوا حول طاولة مستديرة وضعت في حديقة المنزل .. وفي هذه الأثناء خرج منتظر إلى الحديقة فلاحَظ الثلاثة وهم يجلسون حول تلك الطاولة ، حاول أن يتجاهلهم لكن فارس استغل هذه الفرصة فناداه :

ـ منتظر .. منتظر ! تعال واجلس معنا ..
اتجه منتظر نحوهم فهو لا يستطيع أن يتهرب هذه المرة ! صارت دقات قلبه تزداد عنفاً كلما اقترب منهم ، ألقى التحية وجلس صامتاً .
أكملت ملاذ الحديث الذي دار بينها وبين فارس :
ـ وماهي طبيعة عملك في بلاد الغرب ياعم ؟
ـ أنا مختص في حل مشاكل الشباب المسلم هناك .
قالت مبتسمة :
ـ لكن شبابنا هنا بحاجة إليك أيضاً ، فمشاكلنا هنا لم تُحل حتى تذهب لتحلّها في الغرب !
ضحك فارس ثم قال :

ـ كلامك صحيح .. لكن الشباب هنا يوجد من ينصحهم من علماء ومُصلحين ، أما هناك فقليلٌ هم الذين أخذوا على عاتقهم قضية الإصلاح والهداية ، فشبابنا المسلم هناك شُبه تائه ، وفي أحيان كثيرة تجرّهُ الأفكار الغربية إلى أمور لا يرتضيها الإسلام أبداً .

قال منتظر محاولاً الاشتراك في الحديث :

ـ إن العمل في الغرب في حدّ ذاته يُمثل رسالة عظيمة خاصة للمثقفين فالواجب عليهم أن ينقلوا رسالة الإسلام إلى هناك بصورة صحيحة من خلال تعاملاتهم مع الغربيين ومع المسلمين المغتربين بأن يحاولوا إبقاء حب الإسلام في قلوبهم وتعريفهم بواجباتهم هناك ، وكيف يمكنهم المحافظة على أطفالهم وأولادهم من خطورة غزو أفكار الغرب لهم .

قالت ملاذ :

ـ إن أفكار الغرب لا تُشكّل خطورة في الغرب فقط بل إنها صارت تغزونا في عقر ديارنا من خلال الفضائيات وكذلك الانترنيت ...

قال فارس :

ـ فعلاً يا ملاذ ، لكن الخطورة القصوى تبقى متركزة هناك في هوليود ومثيلاتها من المدن المتحررة !!

قالت ملاذ :

ـ أدعو الله لك يا عم من كل قلبي ، أن تنجح في إيصال رسالتك لأبنائنا العرب والمسلمين هناك لتُنقذهم من براثن الثقافة المنحلّة ..

كان منتظر يستمع لملاذ دون النظر إليها عندما تتحدث ، هذا مما جذب انتباه فارس وجعله يكون شُبه متأكد من ظنونهُ التي تخالج أفكاره !

في هذه الأثناء جاءت أخت منتظر لتُناديهم فوقت الغداء قد حان .

* * *

لم يبقَ لوجودهم في المنطقة الشمالية سوى يومين وفارس إلى الآن لم يحصل على مراده بصورة قطعية !

فرغم الثمانية أيام التي قضوها هناك لكنهُ لم يرَ منتظر قد حاول التحدّث مع ملاذ لمفردهما أبداً !

أما ملاذ فكانت هي الأخرى تبدو طبيعية جداً .

وفي اليوم قبل الأخير من وجودهم قررت ملاذ أن تسأل منتظر عن سبب محاولة تجاهلها .. !
كان جالساً على رمال الشاطئ ينظر إلى الشمس وهي تشرف على المغيب ، انتبه إلى صوت ملاذ تناديه ، قام من مكانه رآها تقترب نحوه ، عاد قلبه معربداً وقد ملأ صدرهُ ضجيجاً ! وصلت عنده ثم نظرت إليه قائلة :
- السلام عليكم ...
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .
- لقد انتهزت فرصة وجودك لوحدك هنا لأسألك عن هذا التغير العجيب تجاهي !
حاول منتظر إخفاء ارتباكه ، أمرها بالعودة قائلاً :
- ملاذ .. ارجعي إلى المنزل حالاً ، فقد يراكِ والدكِ ويعمل لنا مشكلة !
تألمت ملاذ لمّا رأته يتهرب منها بهذا الشكل الغريب ، قالت بصوتٍ مخنوق :
- لو أعرف ماذا فعلتُ لك حتى تعاملني هكذا !؟ أنت تعرف جيداً إنني لم أرفضك بل والدي الذي رفض فكرة زواجنا .. صدّقني !
قال منتظر وقد بدا هادئاً بعض الشيء :
- أنا أعرف ذلك .. لكنّي لستُ غاضباً منكِ أبداً يا ملاذ ..
- إذاً لماذا لا تريد أن تتكلم معي ؟ لماذا تُدير وجهك عني هكذا ؟ لماذا لم تسألني عن أحوالي ووضعي مع والدي رغم مرور سنتين كاملتين على لقائنا الأخير .. لماذا لا تتحدث معي كالسابق عن الإيمان والحب الإلهي والسعادة الحقيقية و....
قاطعها منتظر قائلاً :
- الوضع تغيّر يا ملاذ ، أرجوك افهميني !
- هل يعني ذلك إنك صرت تكرهني ولا تريد رؤيتي ؟
- أبداً .. أبداً ! لماذا تفكرين هكذا ؟
- تعاملكَ معي يوحي لي بهذه الحقيقة ، وسأتحملها بالرغم من إنها مرّة .
صار منتظر يسمع صوت بكائها وهي تتكلم بهذه الكلمات لم يتحمل سماع ذلك الصوت المجروح ، شعر بمقدار الألم الذي يسببهُ لها ، قرر أخيراً أن يُخبرها بالحقيقة !
- اسمعي يا ملاذ ، إنني في تحدّي وجهاد عظيمين ... إنني أجاهد نفسي يا ملاذ وجهاد النفس أشدُّ وقعاً من جهاد الأعداء ، إنه الجهاد الأكبر كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأنتِ بالنسبة لي الآن لستِ كالسابق أبداً !

فلا تظني بأنني مستاءٌ منكِ عندما لا انظر اليكِ ولكن لي أسبابي ..
أرجوكِ اِعذريني !
كان يتكلم ووجههُ مازال جهة البحر ، شعرت ملاذ بعد أن فهمت قصدهُ بأنهُ في صراع حقيقي مع نفسه (فالنفس جند من جنود الشيطان) .
قالت لهُ بثقة :
ـ إذاً يجب ان ننتظر الفرج معاً يا منتظر ، وسيكون
قريباً إن شاء الله .
كانت تحاول أن تواسيه في كلامها هذا ، وتحاول أن تخبره بأنها ستبقى في انتظاره إلى أن يأمر الله باجتماعهما .
تركتهُ وسارت مبتعدة عنه ، أما هو فلقد ردّد بعد أن سمع جملتها الأخيرة تلك :
ـ لماذا يا ملاذ ؟ لماذا تُرجعين الأمل لي .. ليتكِ تقطعينه نهائياً ..
جلس على ركبتيه ودموعه تتساقط أنهاراً ، خفض رأسه إلى الأرض وصار يردد كلمات من دعاء كان حفظهُ عن المعصوم (عليه السلام) : إلهي استعملني بما تسألني غداً عنهُ واستفرغ أيامي فيما خلقتني لهُ ، ربي .. إذا كان عمري مرتعاً للشيطان فأقبضني إليك !
كان منتظر خائفاً من أن يقضي بقية أيامه في هذه الحرب والصراعات النفسية بينه وبين الشيطان .. وقد يبقى في أمل طيلة حياته مما قد يُنسيه الآخرة .. فلقد علّمه رسول الله وأهل بيته إن ((طول الأمل يُنسي الآخرة)) .
وضع يديه على وجهه وهو يبكي وينتحب كالطفل الصغير ، أدارت ملاذ وجهها نحوه وهي تراقبه من بعيد رأت حالته تلك ، بكت هي الأخرى ثم رفعت بصرها إلى السماء وهي تقول :
ـ إلهي .. ها نحنُ ننتظر أمرك ، فلا تُخيّب ظننا فيك يا رب .
سارت بإتجاه المنزل الذي يقطنوه .. وفي الطريق إلتقت بفارس الذي سألها :
ـ ألم تُشاهدي منتظر ؟
نظرت إليه فرأى أثر البكاء واضحاً على عينيها ! قال لها :
ـ ما بك يا
ملاذ ؟ أتبكين !
أجابت بألم :
ـ لاشيء يا عم .. وإن كنت تسأل عن منتظر فأنهُ هناك وأشارت
إليه ثم ابتعدت ...

إتجه فارس نحو منتظر وما أن رآه حتى استغرب حالتهُ وجلوسه على ركبتيه في وضع الذليل ! اقترب منه ، وضع يده على كتف منتظر ثم قال :
ـ لقد بحثت عنك طويلاً يا فتى !
قام منتظر من مكانه وهو يمسح دموعه ، صاح فارس :
ـ أتبكي أنت أيضاً ! ما بكما ؟
قال منتظر وقد استهجن حديثه :
ـ من رأيته يبكي غيري يا عم !
ـ لقد التقيتُ ملاذاً قبل قليل ...
سكت قليلاً ثم أكمل :
ـ هل إنكما تعانيان من مشكلةٍ ما ؟ تكلّم بربك يا منتظر ..
مشى منتظر وهو يمسك بيد فارس ويقول :
ـ انسَ الأمر يا عماه !
وقف فارس مكانه وقد امتنع عن المسير ..ثم قال وهو ينظر لعيني منتظر :
ـ أنت ترغب بالزواج منها .. صح !
ابتسم منتظر لأول مرة في هذه السفرة ! ثم قال :
ـ صح يا عم .. الآن أستطيع أن أؤكد إنك خبير فعلاً بأمور الشباب ! لكن استحلفك بالله أن تنسى الأمر على الأقل الآن ، وأعدك عندما نعود من هذه السفرة إلى مدينتنا سأخبرك حينها بكل شيء .

* * *

استيقظ منتظر في صباح اليوم التالي وهو يشعر بارتياح لم يعهدهُ مسبقاً ! وكأن تلك الدموع التي ذرفها أمام البحر مناجياً بها خالقهُ جلّ وعلا قد غسلت الحزن عن قلبه وأبعدت التوتر عن أعصابه ، خرج إلى الحديقة فرأى إن الجميع قد استيقظ وهاهم يتناولون إفطارهم فوق حشائش تلك الحديقة الخضراء .. قال وهو يهّم بالجلوس معهم :
ـالسلام عليكم جميعاً ..
ردّ الجميع السلام وهم يلحظون التغير الذي بدا واضحاً عليه هذا اليوم !
طلب من أمه أن تصب لهُ كوباً من الشاي ثم قال :
ـ عندي لكم مفاجأة !
تسائل الجميع :

-خير إنشاء الله !
- بما إن اليوم هو آخر أيام سفرتنا الجميلة هذه ، فلقد قررت أن أستأجر أحد القوارب الكبيرة من ميناء المدينة وأأخذكم في رحلة بحرية !
صاحوا وقد أعجبتهم الفكرة كثيراً :
- فكرة رائعة !
- وبعدها سنذهب إلى مركز المدينة فأنتم مدعوون للغداء في ذلك المطعم الكبير الذي رأيناه قبل أيام .. وبعدها سنذهب إلى قاعة الإلكترونيات إن أحببتم ذلك !
قال فارس مازحاً :
- ما هذه التغيرات يا منتظر ؟ هل أصابتك الحمّى اليوم أم ماذا ؟!
ضحك الجميع وصاروا يمازحون منتظر بفرحٍ وسرور .

الفصل التاسع عشر

بعد تلك السفرة السياحية التي استمرت عشرة أيام كاملة كان أجملها وأحلاها اليوم الأخير ..
تهيّأ الجميع للعودة إلى مدينتهم ، وقد ساد طريق العودة جو من المرح والسعادة ، كان أخوة منتظر الصغار يرددون بعض الموشحات الدينية والأناشيد التي تتغنى بحب الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وكان منتظر ووالدته وكذلك ملاذ يرددون تلك الأناشيد مع الصغار واكتفى الثلاثة (فارس وكريم وحامد) بالتصفيق والمزاح .
قال أبو ملاذ لمنتظر بعد انتهائهم من ترديد إحدى الموشحات :
ـ ألم تقل إنك لا تستطيع الكلام أثناء السياقة ؟
قال منتظر بصوت مازح :
ـ لقد صرتُ حائراً معك يا عم أصمت فتقول لي : لماذا تبدو حزيناً ! فأُشارك أخوتي في الإنشاد تعترض عليّ وتستهجن فعلي .. قل لي بربك ما الذي يُرضيك حتى أفعله !
انطلقت الضحكات عالية .. وهكذا فلقد كان طريق العودة يختلف تماماً عن طريق الذهاب لما قد أصاب النفوس من ارتياح شديد بدا واضحاً على الجميع .
رجع كلٌ إلى منزله وعاد فارس إلى منزل أبي منتظر وكانت ملاذ قد اعترضت عليه بالقول :
ـ سيكون مكوثك لديهم أكثر من مكوثك لدينا .. فأين قسمتك العادلة ؟!
قال مبتسماً وهو يودعهما :
ـتطلبونني يوماً يا ملاذ .. سأمكثه لديكم قبل سفري بأذن الله .
وفي اليوم التالي لم يتمكن منتظر من الذهاب إلى عمله لشدّة الإرهاق الذي أصابه من طول الطريق وتعب السياقة ، فما أن صلّى فريضة الفجر وأدّى تعقيباتها حتى عاد للنوم ثانية .
وبينما كان ما يزال مستلقياً على فراشه حتى شعر بشيء قد وقع على رأسه قام لينظر فوجد فارس واقفاً بجانب السرير وبيده وسادة ثانية يحاول ضربهُ بها !
قال رافعاً صوته :
ـ ألم يحن الوقت للاستيقاظ يا فتى ؟ ها ...!

ـ آه يا عم .. لو تشعر بالتعب الذي أشعر به !
ـ هيا استيقظ لتتناول فطورك ، فعندي كلام كثير معك .
عرف منتظر ما يريد فارس التحدث به !
وبعد تناوله للفطور ، دخل غرفته فوجد إن فارساً ما يزال فيها .. كان يُقلّب صفحات الكتب الموجودة في مكتبة منتظر فلما انتبه إلى مجيء الأخيرقال لهُ :
ـ أغلق الباب خلفك !
إنصاع منتظر لأمر فارس فأغلق باب الغرفة ثم جلس على السرير ، التفت إليه فارس قائلاً :
ـ هل لي أن أعرف ما الذي حصل لك في اليوم الأخير من السفرة ؟
ـ هل هذا كل ما تريد معرفته يا عم !
ـ تكلّم يا فتى .. هيا !
ـ الحقيقة يا عمي .. إنني تلك الليلة سهرتُ في التفكير بما سببتهُ لملاذ من ألم وحزن أثناء حديثي معها عند البحر حيث رأيتني هناك .. ثم فكرت بأنها جاءت إلى هنا لتروّح عن نفسها ولتخرج من وحدتها القاتلة في ذلك المنزل الذي يخلو إلا منها ومن أبيها .. فكرتُ كثيراً فيما كان يتصرفهُ والدها معها وكيف إنها مُحتاجة الآن ولو لشيء بسيط من السرور ، وكذلك فكرتُ في إنني طوال أيام السفرة كنتُ متوتراً وكئيباً .. حتى إن والديَّ وأخوتي لم يشعروا بلذّة السفرة بسببي .. ولذلك ولأجلكم جميعاً قررت أن أجعل اليوم الأخير هو أحلى أيام السفرة ، وأتمنى أن أكون قد نجحت في ذلك!

ـ تريد الصراحة يا منتظر ، كان فعلاً أحلى أيام السفرة ، فلقد كان مزاجك رائقاً جداً ولقد شعرتُ بأن ملاذ لم تفرح إلاّ في ذلك اليوم !
ـ هل فعلاً هذا ما أحسستهُ يا عم ؟ أعني هل كانت تبدو سعيدة !
ـ ألم تقرأ هذا الشعور في عينيها يا فتى !
ـ ماذا ... عينيها ! وهل لي الجرأة أن أنظر إلى الجهة التي تجلس فيها هي حتى أتجرأ بعد ذلك وأنظر إلى عينيها !
ـ صحيح يا منتظر ... لماذا كل هذا التحَسس من تلك الفتاة ؟ أرى إنك في بعض الأحيان تحاول تجاهلها ولا أصدّق بأنك ترغب بالزواج منها كما قلت لي!
ـ أما بالنسبة لرغبتي في الزواج منها ... فهذه هي رغبتي منذ سنتين مضت ومازالت تلك الرغبة يا عم ولم تتغير أبداً .. أما مسألة التحسس منها أو من

الحديث معها أو حتى النظر إليها فهذهِ مسألة معقدة لا أظنك قادراً على فهمي إن فسرتها لك !
ـ ماذا .. ماذا ؟ غير قادر على فهمك ! ما بك يا فتى ؟ أنا فارس .. أتفهم ما معنى فارس ... فارس الذي لا تخفى عليه حركات الشباب أبداً .. هل فهمت!
ضحك منتظر من طريقة كلام فارس ثم قال :
ـ لم أقصد أن أنتقص منك يا عمي صدّقني..لكن المسألة تحتاج إلى شرح طويل!
ـ قد أستطيع مساعدتك يا فتى .. هيا تكلم ، كُليّ آذانٌ صاغية !
بدأ منتظر يسرد لفارس قصته تلك وقد بدأها منذ اللحظة التي أخبرهُ أباه بمرض ملاذ وكان لم يتعرف عليها بعد .. ثم صار يتحدث لهُ عن مشاعرهِ عندما رآها أول مرة وكيف إنها لم تعجبهُ أبداً ..!!
حدّثه بعد ذلك عن الحوارات التي دارت بينه وبينها حول الدين والإيمان والحب الصادق العفيف وكيف يجب أن تكون علاقتنا بالله..
إلى أن وصل إلى ما بعد العملية حينما زارها مع عائلته في منزلها وكيف إن مشاعره مُنذ تلك اللحظة قد تغيرت تجاهها تغيراً جذرياً !
قال حينها :

ـ آه يا عم ... منذ أن دخلت علينا الغرفة في ذلك اليوم ونظرتُ إليها حتى شعرتُ أن قلبي صارت ضرباته تزداد فبدل أن يكون 72 ضربة في الدقيقة صار يدق 160 ضربة في الدقيقة الواحدة !
حاولتُ أن أكون طبيعياً ، كلّمتها وسألتها عن أحوالها .. وتحدّثنا طويلاً ، وعندما عدت إلى المنزل لم أستطع أن أنم تلك الليلة !
صرتُ أفكر كثيراً ، استمر حالي هذا شهر تقريباً .. نعم ثلاثون يوماً وأنا لم أرها .. شعرتُ بشوق كبير نحوها ، تساءلت هل يمكن أن أكون قد .. !
صمت منتظر وتأوه ، قال لهُ فارس :
ـأكمل يا عزيزي ها .. وماذا حصل بعد ذلك ؟
ـ لقد تدخل الشيطان يا عم في ذلك اليوم رغم إنه طوال ذلك الشهر لم أشعر بوجودهُ قربي ، صحيح إنني كنت أفكر فيها .. لكن ليس كتفكيري بها ذلك اليوم !
وكما أظن إن الشيطان حينها قد سيطر عليَّ بالكامل ، فلقد تمنيت أن أصرخ لأُسمع العالم كله بأني ..

ـ بأنك ماذا ؟
ـ مشتاقٌ لرؤيتها !
ـ وهل توقف (أبو مُرّة) إلى هذا الحد ؟!
ـ لا ... لقد وسوس لي أن أتصل بها هاتفياً !
صاح فارس : وهل فعلت ؟
ـ لا .. لا يا عم ، فلقد أنقذني ضميري ـ بفضل الله ـ في اللحظات الأخيرة !
ـ أحسنت ... أكمل !
بكيتُ في ذلك اليوم كثيراً ، شعرتُ بالندم وبشدة الإحتقار لنفسي ، بل إلى الآن احتقرها كلما تذكرت ذلك الموقف !
ـ لكنك لم تتصل بها ..
ـ لكني اصغيتُ لأمر إبليس .. !
ـ هل تعلم يا منتظر لو إنك إتصلت بها حينها وصارحتها بمشاعرك اتجاهها لسقطتَ من نظرها إلى الأبد !
قال منتظر متألماً :
ـ بل لسقطتُ في نظر ربّي ونظر نفسي ونظر أهلي لو عرفوا بما كنتُ أنوي فعله .
قال فارس وقد ضرب على رأس منتظر مازحاً :
ـ ولسقطتَ من نظري أنا أيضاً !!
قال منتظر بحزن :
ـ آه يا عم .. أنا أتألم وأنت تمزح !
ـ إنسَ ذلك الألم يا منتظر .. فكل شاب في عمرك يمر بما مررت به أنت ..وأحمد الله إن لك ضميراً متيقظاً ، فماذا يقولون لربهم أولئك الذين أناموا ضمائرهم بل أماتوها !
إن أي شاب من شباب اليوم لو كان مكانك لما تردد لحظة في إقامة علاقة مع الفتاة التي يهواها .. وخاصة إن الفرصة كانت سانحة لك ، فالهاتف تستطيع بسهولة أن تنقلهُ إلى غرفتك لتتصل بها في أي وقت طالما ان والدها لا يأتي المنزل إلا ليلاً !
وهذا ما يفعلهُ شبابنا هذه الأيام بدون خجل أو حياء .. وهم يتفوهون في اتصالاتهم تلك بكلمات حقيرة يندى لها الجبين في سبيل الإيقاع بالفتيات

الساذجات اللواتي يُصدّقن تلك الكلمات المعسولة ليقعن بعد ذلك في مكيدة الشيطان !
بل إن أكثر العلاقات المحرمة اليوم يروّج لها ذلك الجهاز (الهاتف) ويزيد من حدَّتها ، فتصوّر ذلك الشاب الذي جذبته إحدى الفتيات يتصل بها ليسمع صوتها وتبقى هي ـ بدون استحياء ـ تتغنّج في صوتها وتتدلل عليه ، ماذا يمكن أن يحصل له !
ستثور تلك العاطفة أكثر وأكثر فيبدأ الكلام الغزلي المشين ..
وكما يقول الشاعر :
نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامُ ... فكلامٌ فموعدٌ فلقاء
وهذه هي الحكمة من حُرمة العلاقات في الهاتف .
دمعت عينا منتظر حين وجد إن فارس يقارنهُ مع أولئك الشباب المنحليّن ..قال والعبرة تخنقه :
ـ لكن صدّقني يا عم ، أنا لا أنظر لملاذ كما ينظر أولئك الشباب لفتياتهم الساذجات .
ـ لكن ما بك يا منتظر !! أنا لم أقصد أن ..
قاطعهُ منتظر :
ـ أعرف يا عم ، لكن أرجوك أن تتفهم حقيقة مشاعري تجاهها ..
فأنا ما أحببتها إلاّ لإيمانها وعفّتها .. سترها وحجابها جعلاني أتمنى قربها ، جعلاني أتمنى أن تكون ملاذ شريكة حياتي التي سأفتخر بها طيلة عمري .
فأنا لا أريدها لعبةً بيدي أبداً .. إنني أريدها ملاكاً تحفظني في حضوري وغيابي ، أُريدها أُماً صالحة تُربّي لي أولادي .

قال لهُ فارس وقد أمسك بيده :
ـ أنا أعرف أن حبّك لها ليس نزوة ولا شعوراً عابراً .. اعرف إن حبها إمتداد لحب الله ولو كان نزوة لأحببتها في وضعها ذلك قبل الهداية فأكيد إنها كانت أكثر إثارة وهي في ذلك الوضع !
لكن الحقيقة التي قد تكون جاهلاً لها وهي ما تُسبب لك هذا الألم هي إن أي شاب في عمرك وطموحك ويتعرف على فتاة مثل ملاذ بعفتها وإيمانها سيتعلق قلبهُ بها ، فالمرأة العفيفة تفرض نفسها عليك شئت أم أبيت !

فأنا عندما كنت شاباً وسافرت إلى الخارج وألتقيت هناك بمريم ـ زوجتي ـ عندما رأيتها لأول مرة في أحد مراكز الشباب بكامل حجابها وأدبها ـ كانت تمثل إنموذجاً رائعاً للفتاة المسلمة في البلاد الغربية ـ تعلّق قلبي بها وطلبتها للزواج فوافقت ..

وهكذا يا منتظر فالمرأة المؤمنة الملتزمة تفرض نفسها وشخصيتها على الجميع ، ولا أحد يستطيع أن يلومك على مشاعرك إتجاهها أبداً .

ثم إن مشاعرك كانت ((إعجاباً)) ليس إلاّ وحتى لو قلنا إنها تحولت إلى ((حب)) فهو ((حبٌ في الله)) والدليل إنك لم تتعدى حدود الله أبداً بل بقيت ملتزماً بها وحتى عندما حاول الشيطان أن يُحوَّل ذلك الشعور إلى مرض العشق ـ والعياذ بالله ـ فإنك وبفضل إيمانك وطاعتك لله وحبك الخالص لهُ سبحانه رفضت ذلك النداء الشيطاني فلا تتصور إنك وقعت بالعشق أبداً لأن مرض العشق يا منتظر هو ما يجعلك تتعدى حدود الخالق من أجل المعشوق فترتكب المحرمات والمعاصي من أجل أن تلتقي بذلك المعشوق أوتراه000

وكل هذا لم يحصل لك ـ والحمد لله ـ لأنك كنت متسلح بسلاح الإيمان والمعرفة فلقد عرفت كيف تروّض مشاعرك وعواطفك وتجعلها طاهرةً سليمة بعيدة عن التخيلات الشيطانية الجامحة ، ولو أن شبابنا الضائع اليوم يملكون ولو نصف معرفتك لما تاهووا في الفساد هكذا فالجهل هو الذي ركب الناس وجعلهم يغطوّن في الفساد والحرام إلى هذه الدرجة !

ولذلك نحنُ نؤكّد دائماً على لزوم الإطلاع والتعلم والتعرّف على أمور الدين وقراءة القصص والحكايات ذات العبر والمواعظ حتى يحصل لدى الشباب وعي حقيقي للأمور وحتى لا يسقطوا أمام أول فتنة يواجهونها !

شعر منتظر بارتياح كبير لكلام فارس الذي شدَّ من عزيمته ..

وشرع يكمل سرد قصته وكيف إن والد ملاذ رفض الخطبة رغم إلحاح والده وذهابه إليه مرة ومرتين لكن بدون جدوى ، قال منتظر محاولاً إنهاء كلامه :

ـ منذ ذلك الحين وأنا أحاول نسيانها وتجاهلها ، صرتُ أجلس في الليل أبثّ حزني وشكواي إلى الله من خلال ((صلاة الليل)) فلقد سمعت من أحد الخطباء إنها أفضل علاج للشباب الذين هم في مثل حالتي .. وفعلاً فلقد صرتُ أؤديها دون انقطاع وكنتُ أشعر بأني صرتُ شيئاً فشيئاً أنسى تلك الفتاة فعلاً ، حتى نسيتُ ملامحها نهائياً ولم أتذكر سوى طلعتها ذات الهيبة والوقار .

لم يعد الشيطان يوسوس لي عن أمرها شيئاً ! وانشغلتُ بعد ذلك بالعمل في ذلك المصنع وبالعبادة والقراءة التي إزدادت عن ذي قبل بكثير حتى جئتَ أنت و ...

ـ وماذا ؟

ـ وأعدت أحزاني !

ـ لكن ألا ترى إنه اختبار لك يا منتظر ؟

ـ بل أنا متأكد من ذلك .. إنهُ اختبار واختبار صعب يا عمّاه !

ـ لكنك يجب أن تنجح فيه حتى تحصل على فتاتك في النهاية !

ـ أنا لا أريد في النهاية سوى ((رضا الله)) من خلال نجاحي في هذا الابتلاء .. أدعُ لي يا عمي في صلاتك .

ـ سأدعو لك ولها .. لأني أراها هي كذلك متعلقة بك جداً ، هذا ما تأكدتُ منه عندما قابلتها في ذلك اليوم على البحيرة ، دموعها كانت تفصح عن مشاعرها ! إنها في اختبار أيضاً .. لكني أراها أقوى منك !

أطرق منتظر برأسه خجلاً ، فقال له فارس مبتسماً :

ـ لا تصدّق يا فتى ، إن قلبيكما ـ أنتما معاً ـ عامران بحب الله وهو سبحانه يريد أن يختبر حبكما لهُ فالمؤمن مبتلى يا بُني ...

ثم لا يأتي كل شيء بالهيّن أبداً والدُنيا هي محل ابتلاء يا منتظر ، وأضرب لك نفسي مثلاً ثانياً فبالرغم من أن حصولي على الفتاة التي أحببت كان سهلاً جداً ... لكن ! ها أنت ترى إننا إلى الآن وبالرغم من مرور سنوات طِوال على زواجنا ما نزال بلا أطفال !

قل لي : لماذا ؟ فسأقول لك : لأننا يجب أن نتعرض للابتلاء حتى يتميّز الحب الصادق لله من الحب الكاذب !

ألم تسمع قوله تعالى : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)).

صمت فارس بضع ثواني ثم قال :

ـ إذاً أنت يا منتظر كنت تتجنب الحديث مع ملاذ أو النظر إليها حتى لا تقع في الحرام أو المحذور ! فعلاً يا منتظر إن حب الله في قلبك يفوق كل حب والدليل إنك كنت في تلك السفرة تحاول إرضاءهُ في كل لحظة وتدوس على مشاعرك تجاه ملاذ وشوقك إليها وللحديث معها ... كل هذا تركتهُ وراء ظهرك ووقفت صامداً أمام التيار لمدّة عشرة أيام كاملة وفي كل يوم كانت هناك عشرات الفرص تجاهلتها جميعا فقط لتُثبت لله حبك وصدقك وصفاء قلبك ...هنيئاً لك يا

منتظر هذا الإيمان العميق ، إنك وأمثالك من الشباب المؤمن تمثلون تحفةً نادرة في زماننا الصعب هذا ..

قال منتظر :
-أتمنى أن أكون يا عم في نظر الله سبحانه وتعالى كما وصفتني فعلاً ..وأتمنى وبحكم عملك المتواصل مع مشاكل الشباب أن تصف لمن في مثل حالتي هذا العلاج الرائع ((المداومة على صلاة الليل)) فصدّقني لولاها لما ثبت الإيمان في قلبي هكذا .. بل لما إزداد إلى هذه الدرجة ، إنه شعور لا يوصف أن تقف - بين يدي الله - في الليالي الحالكة والناس جميعهم نيّام لتقول لهُ : " إلهي إن القضاء والقدر يُمنّيني وإن الهوى بوثائق الشهوة أسّرني .. فكن أنت النصير لي حتى تنصرني وتُبصِّرَني " .
كانت هذه الكلمات التي ردّدها منتظر على أسماع فارس هي مقطع من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة ، كما إنهُ كان كثيراً ما يقرأ دعاء الحزين وكذلك دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد صلاة الليل ..
قال منتظر : صحيح إن دعاء أبي حمزة الثمالي كان طويلاً لكني لم أكن أشعر بأنه كذلك ، كنتُ أذوب في كلماته دون شعوري بالوقت أبداً .. وبذلك يا عم كانت تلك الكلمات سندي وعُذري أمام الله .. تزيدني قوة وعزيمة على التوبة والاستغفار وتشعرني بالقرب من الله وبأنه غفر لي وقَبِل حبي وأسكن لوعتي وكانت تزيدني توجهاً وعشقاً لهُ سبحانه .
قال فارس لمنتظر في نهاية هذا الحديث الطويل الذي دار بينهما :
-أُقسم بأنك يا منتظر قد علمّتني الشيء الكثير الذي سأستفيد منهُ جداً (من خلال تجربتك هذه) في حل الكثير من مشاكل شبابنا الضائع .

الفصل الأخير

منذ الصباح كان فارس يستعد للاتجاه نحو منزل أبي ملاذ فهو لم ينسَ أنه وعد ملاذ بالمكوث عندهم يوماً إضافياً قبل سفرهِ .
خرج من غرفته التي خصصها كريم لهُ متجهاً نحو غرفة الجلوس حيث الجميع هناك لتوديعه ، وقبل أن يدخل غرفة الجلوس سمع صوت أم منتظر تناديه وهي تقف عند باب المطبخ :
-أخي فارس ..إلتفت فرآها واقفة وتُشير إليه قائلة :
-أرجوك .. قبل أن تدخل إلى الغرفة ، عندي كلام معك !
إتجه فارس نحوها وقد لاحظ علامات الحزن عليها .. قالت بصوتٍ شجي :
-أيها الأخ العزيز .. صدّقني يصعب علينا فراقك فلقد كنت واحداً منّا ولا تزال ، ولقد احبك الأولاد كثيراً وسيحزن الجميع لرحيلك .
أطرق فارس خجلاً من هذا الثناء وهو يردد كلمات الشكر والإمتنان ، ثم أكملت أم منتظر قائلة :
- وقبل أن ترحل .. هل لك أن تُسدي لأختك أم منتظر خدمة سوف لن تنساها طول حياتها !
- آه .. تفضلي يا أختاه ، أنا خادمكم يا أم منتظر .
- أستغفر الله يا أخي .. كلنا خدم وعبيد لله .
- ماذا هناك يا أم منتظر ؟ هل يوجد شيء لا سمح الله ؟
- إنهُ بخصوص منتظر ، لقد تركته وكان في عمر السادسة عشر تقريباً وعدتَ من السفر وهو في عمر الخامسة والعشرين وهو إلى الآن لم يتزوج كما ترى ..
ابتسم فارس وقال :
-عرفتُ ما يدور في خُلدك يا أُخيّة ! تُريديني أن أتحدث مع حامد بخصوص ابنتهُ ملاذ ومسألة خطوبتها لمنتظر.. صح !
- لكن ... كيف عرفت ؟ !
ضحك فارس قائلاً :
-أما عن كيفية معرفتي بالأمر فهو سر لا أستطيع البوح به ! وأما عن حديثي مع حامد بخصوص موضوع منتظر فصدّقيني أنا ذاهب اليوم إليهم من أجل هذا الموضوع !

قالت أم منتظر وقد لمح فارس الدموع في عينيها :
ـ لقد قرأت في كتاب وسائل الشيعة حديثاً عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) عن الذي يسعى في تزويج أخيه المسلم يقول فيه : ((ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظله ، رجل زوّج أخاه المسلم ، أو أخدمه ، أو كتم لهُ سراً)) فعسى أن تكون أحد هؤلاء الثلاثة يا أخي فارس ، ستكون أنت أملنا من بعد الله سبحانه وتعالى .. وأظن أن أبا ملاذ وبحكم الصداقة التي تجمعكما معاً وبحكم قُدرتك الكبيرة على الإقناع فأنهُ سيتفهم الأمر ويوافق .
ـ إنها أمنيتي يا أم منتظر ، أن أرى ملاذ ومنتظر وقد جمعهما منزلٌ واحد .
ـ يسمع الله منك يا أخي ! لقد صبر منتظر كثيراً وعسى الله أن يجعل في تدخلك خيراً ونهايةً مباركة لهذا الصبر !
ـ وأنا أظن ذلك إن شاء الله ، لذلك أنا متفائل جداً وسأتوكل على الله في محاولة إقناعه .
ـ إن اقتنع أبو ملاذ فعلاً وحصلت الخطبة ثم الزواج فستكون يا أخي من الذين قال عنهم الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) : ((من عمل في تزويج حلال حتى يجمع الله بينهما زوّجهُ الله من حور العين وكان له بكل خطوة خطاها وكلمة تكلمّ بها عبادة سنة)) .
ابتسم فارس ثم قال :
ـ أدعو من الله أن يوفقني لأكون عند حسن ظنكم بي .
بعدما وعد فارس أم منتظر بالتدخّل السريع لايجاد حل لقضية ولدها دخل غرفة الجلوس وصار يُسلّم عليهم مبتدئاً بالصغار الذين كانوا مستاءين جدّاً لفراقهِ وقد ودّعوه بالدموع والقُبلات الحارة حتى وصل إلى منتظر الذي قال محاولاً إخفاء دموعه :
ـ أنا لن أودّعك الآن يا عم لأنني سأرافقك بعد غد إلى المطار كما اتفقنا !
ثم قال أبو منتظر :
ـ وأنا كذلك ! سنلتقي هناك يا فارس بعد أن تتصل بنا يوم غد لتُخبرنا بموعد إقلاع الطائرة ...
ـ ولكن هذا يعني إنكما يجب أن ترافقاني إلى العاصمة .. حيث المطار !
أجاب منتظر بسرعة :
ـ وماذا يعني ذلك ؟! السيارة موجودة .
ثم ضرب على صدره وقال : والسائق موجود !

ابتسم الجميع وقد اختلطت ابتسامتهم تلك بدموع الفراق .. بعد ذلك رافقوا فارس إلى الباب وقد قام منتظر بإيصاله بسيارته إلى بيت حامد حيث سيقضي آخر يوم قبل سفره هناك .

* * *

قضى فارس تلك الليلة مع صاحبه أبي ملاذ بالتحدث في أمور مختلفة لكنهُ لم يتطرق إلى الأمر الذي جاء من أجله !

وفي اليوم التالي حيث لم يذهب فيه أبو ملاذ إلى عمله لأجل قضاء ذلك اليوم مع ضيفه ، كان فارس عازماً على إقناع صاحبه بما يروم التحدث فيه .

قال لهُ وهما يتناولان الشاي :

ـ سأستغل تواجد ملاذ في غرفتها لأسألك يا حامد عن أمرٍ يشغلني كثيراً ..

ـ وما هو يا صاحبي ؟

ـ ما سبب رفضك لمنتظر عندما تقدّم لخطبة ملاذ ؟

ـ أوه ... هل غسلوا دماغك أنت أيضاً ؟

ـ ماذا ؟ غسلوا دماغي ! ثم من هو الذي (غسلوا دماغه) قبلي !؟

ـ ملاذ .. ابنتي !

ـ إتّقِ الله يا رجل ، هل لأنهم أنقذوها من الضلالة وجعلوها تُبصر النور .. فيكونون كما وصفتهم !

ـ ماذا تقصد يا فارس .. هل إنني جعلت ابنتي تعيش في ضلالة كل تلك السنوات ؟

ـ للأسف يا حامد ... نعم ! ولا داعي أن أوّضح أكثر فأنت تفهم ما أعني جيداً !

أطرق حامد برأسه إلى الأرض دون رد ، وأكمل فارس كلامه بصوت لا يخلو من نبرة الألم والعتاب :

ـ ثم متى قصّر معك كريم في شيء حتى تحاربهُ هكذا ؟ لقد وهب لك حياة ولدهُ بلا ثمن ثم تردّ إليه الجميل بهذا الجحود وعدم العرفان ! قل لي يا حامد.. ماذا لو كان كريم قد فقد ولدهُ في تلك العملية بعدما حصل لهُ من مضاعفات كادت تودي بحياته ! فما الذي كان سيقبضهُ منك حينها ؟!

لقد جازف صاحبنا كثيراً يا حامد حين وافق على تعريض ولده لخطر الموت من أجل إسعادك وإنقاذ ابنتك ..

إن أمرك عجيب يا رجل ! ربّك لا تريد شكرهُ ومن يُقدم لك المساعدة ليس فقط لا تشكره بل تحاول إهانته وإبعاده عن دربك ! ما بك يا حامد هل ركب الشيطان رأسك إلى هذه الدرجة ؟!

لقد احترمتُ فارق العمر الذي بيننا وكنتُ دائماً أصغي إليكما وأُذعن لأمركما أنت وكريم لأنكما تكبرانني بكثير ، لكن الآن يا أخي فلقد طفح الكيل !

قال حامد محاولاً تهدئته :

ـ ما بك يا فارس ، لماذا تضخّم الأمور ؟

أجاب فارس محاولاً السيطرة على أعصابه :

ـ أنا لا أضخم الأمور أبداً ..

قل لي يا أبا ملاذ ما هي عيوب منتظر التي دعتك إلى رفضه ؟

ـ في ذلك الوقت أي عندما تقدم لخطبة ملاذ كان لا يملك شيئاً ، فخفتُ على مستقبل ابنتي معه .

ـ يعني رفضتهُ بسبب فَقرهِ ؟!

ـ تقريباً ...

ـ هل هذا سبب عُقلائي يا صاحبي .. قل لي عندما قبلت بك أم ملاذ ((رحمها الله)) ماذا كان عندك ؟

ثم ألم تسمع قوله تعالى : ((وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) ، وبعدها تأتي أنت لترفض ذلك الشاب فقط لأنهُ فقير !

ـ ليس هذا السبب الوحيد يا فارس .. فلقد شعرت حينها بأنني محتاج إلى تواجد ملاذ معي فالوقت مازال مبكراً لزواجها وتركها إياي ! وخاصة إنني قد تعودت على تواجدها معي منذ وفاة والدتها رحمها الله ولم أفارقها يوماً أبداً ، لذلك كنت خائفاً من معاناة الوحدة لو هي تزوجت وتركت المنزل .

ـ هذا ليس سبب معقولاً أيضاً ! فالذي أعرفه إن ابنتك كان عمرها في حدود العشرين أو أكثر عندما تقدّم منتظر لخطبتها ، يعني إنه كان قد مرّ على دخولها سن التكليف أحد عشر سنة ! فكيف تقول مازال الوقت مبكراً لتزويجها ... !؟

ثم اسمع هذا الحديث الشريف وأعطني رأيك فيه .. جاء في الكتب الموثوقة ومنها كتاب بحار الأنوار إنهُ نزل جبرائيل على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : ((يا محمد إن ربك يُقرئك السلام ويقول : إن الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر فإذا أينع فلا دواء لهُ إلاّ اجتنائه وإلا أفسدته الشمس وغيرته الريح ،

وإن الأبكار إذا أدركن ما تُدرك النساء فلا دواء لهن إلا البعول ـ أي الأزواج ـ وإلاّ لم يُؤمن عليهن الفتنة)) .
ها يا صاحبي .. ! ما رأيك ؟ هذه توصية من الله سبحانه وتعالى إلى رسولهِ الكريم ليُخبر بها أبناء أمته بأن الفتاة إذا صارت بمنزلة النساء فيجب تزويجها وإلاّ فقد تنحرف إلى طريق الشيطان وهذا ما أسماه الله بالـ (فتنة) ...
ـ لكنّ ابنتي من الصالحات كما ترى يا فارس ! ولا أظنها سوف تنحرف إلى طريقٍ آخر أبداً !
ابتسم فارس وقال :
ـ سبحان الله الآن صرت تعترف بأنها فتاة صالحة ! أولاً يا حامد هي ما كانت كذلك قبل أن تلتقي بمنتظر ! وأنت تُدرك تماماً إنهُ كان صاحب الفضل بعد الله طبعاً في هداية ابنتك وإصلاحها بعدما أفسدتها حياة الفن والطرب التي كنت أنت من هيأها لها !
ثم هل تعرف بأن ابنتك كان من السهولة أن تنحرف لولا إيمان ذلك الشاب وخوفه من الله فلو إن شخصاً غيره كان مكانهُ لاستغل جهل ملاذ وعاطفتها الشديدة نحوه ولأرتكب حراماً معها والعياذُ بالله !
قال حامد متسائلاً :
ـ ماذا ؟ عاطفتها الشديدة نحوه ! ماذا تقصد ..
ـ لا توهمني بأنك لا تعرف ! فأنت أكثر شخص يعرف إن ملاذ قد تعلقت بمنتظر منذ أول مرة رأتهُ فيها حين عرفت بأنهُ ينوي مساعدتها ، كانت مستعدة أن تفعل كل شيء لأجل إرضائه حتى لو كان ذلك الشيء حراماً أو يُسيء إلى سمعتها ، فهي كانت في وضع لا تُميّز فيه بين الخطأ و الصواب أو الحلال والحرام أبداً .
(صمت حامد وكأنهُ إعترف بخطئهِ وبصحة ما يقوله فارس) ثم أكمل الأخير قائلاً :
ـ هل تعرف يا حامد ما هي عقوبة من يحاول تأخير زواج ابنته !؟ أنا اقول لك: عقوبته جهنم وبئس المصير !!
ثم أكمل فارس بألم :
-إتّق الله يا رجل ولا يوسوس لك الشيطان ، فأن هذا المخلوق ـ إبليس اللعين ـ ليس من مصلحته أبداً أن يجمع الله بين اثنين في الحلال ! فهو يُريد أن تجري الأمور نحو الحرام دائماً !! كما إنه يعرف بأن الشباب إذا بقوا بدون زواج

ستكون السيطرة عليهم أسهل ! وبذلك ستعم الفتن وكذلك الفساد وهذا بالضبط ما أشار إليه الرسول (صلى الله عليه وآله)في قوله : ((إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه فزوّجوه ، وإلاّ تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبيرٍ)) ، فهنا يضع الرسول شرطين للرجل الكفؤ وهو أن يكون (خلوقاً ومتديناً) ولم يقل غنياً أو جميلاً أو ...

ثم من يضمن لك أن الغني سيبقى كذلك طول عمره ؟! والفقير سيبقى فقيراً إلى نهاية حياته !

ومن سيضمن لك بأنها ستنال السعادة مع المال والمكانة المرموقة فقد يكون الزوج غني المال فقير الأخلاق !

أما إن كان غني الأخلاق و الدين فستعيش المرأة معه في سعادة تامة لما يُغدق عليها من أخلاقه وعلمهُ ، فقد تستطيع المرأة وخاصة الصالحة أن تتحمل فقر زوجها وقلّة ذات اليد ولكنها لا تستطيع أن تتحمل سوء أخلاقه واستعبادهُ لها !

أما إذا قلت بأنها غالية عندك وتريد من زوجها أن يقدّر ثمنها فأعلم إن المرأة إذا كانت صالحة لا تُقدّر بثمن ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنهُ قال : ((.. فأما صالحتهن فليس خطرها ـ أي قيمتها ـ الذهب والفضة ، هي خيرٌ من الذهب والفضة)).

وأخيراً أقول لك يا صاحبي ما قاله احد المفكرين بأن المرأة الفاضلة كتاب لا يقرأهُ إلا المؤمنون ..

وابنتك وبما إنك اعترفت بنفسك بأنها (فاضلة) فسوف لا تستطيع أن تعيش إلا مع إنسان مؤمن يُقدّر إيمانها وعفّتها .. ولو إنك أعطيتها لغير هذا الشاب فستكون قد ظلمتها وحكمت عليها بالسجن المؤبّد طيلة حياتها !!

قال أبو ملاذ في محاولة لتبرير موقفهِ :

ـ ولكن ألم يُشجع الإسلام على إن الفتاة يجب أن يكون لها مهر ... ؟ ومنتظر لم يكن يملك حينها شيئاً !

ـ أولاً يا أبا ملاذ إن الإسلام مثلما وضع (المهر) كرمز لحفظ كرامة المرأة وتبيان قدرها فهو في الوقت نفسه شجّع على قلّة المهور وذلك في حديث للرسول (صلى الله عليه وآله)

: ((خير نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلّهن مهراً ..)) .

وثانياً إن منتظر لم يكن إلى هذه الدرجة من الفقر ، فلو إنك كنت وافقت لسهّل الله الكثير من الأمور خاصةً إذا كانت طلباتك عقلائية لا تقصم الظهر !

وثالثاً ها هو منتظر الآن يملك ما شاء الله فهو يستلم أعلى مرتب يمكن أن يتقاضاه أي موظف في هذه الأيام ، كما إن لديه سيارة وأرضاً سيبدأ في البناء عليها عن قريب .. فماذا تُريد أكثر من هذا ؟!
وحتى ولو لم يكن منتظر قد ملك هذه الأمور فكان الأولى بك أن تستح من الله أولاً ومن نفسك ثانياً وأن تضع عقوبة الله أمام عينيك وأنت تحاول أن تُبقي ابنتك هكذا بلا زواج مع إنهُ نصف الدين ..

قام فارس وهو يقول :
ـ فكّر بالأمر جيداً يا حامد وإن بقيت على عنادك هذا ، فأنك ستحكم على علاقتنا بالموت ، وعلى نفسك بالخلود في نار جهنم حيث لا ينفع الندم أبداً لأنك ظلمت ابنتك ونفسك معاً .
في تلك الليلة اتصل فارس بأبي منتظر وأخبرهُ بأنهُ حجز على الطائرة التي ستقلع في الساعة التاسعة صباحاً ، قال لهُ أبو منتظر : سنكون أنا ومنتظر عندك في الساعة السابعة والنصف فالطريق إلى العاصمة يستغرق أكثر من ساعة تقريباً ..
وفي الوقت المحدد سمع صوت سيارة منتظر تقف أمام الدار فقام بتوديع ملاذ ، ثم حضن صاحبهُ وقد همس في أُذنه بالقول : فكّر جيداً بما تحدثنا به ليلة أمس .. أريد وأنا في بلاد الغُربة أن أسمع أخباراً تُفرح القلب .
خرج فوجد الإثنين ينتظرانه في السيارة ، صعد وألقى التحية ثم انطلق الثلاثة في الطريق إلى العاصمة حيث المطار .. وهناك لم يحتمل منتظر ألم لحظة الفراق هذه ..
حضن فارس ودموعهُ قد سبقت الكلمات ودّعه وأتّجه نحو السيارة .. جلس فيها ينتظر مجيء والده فهو لا يُريد رؤية فارس وهو يصعد إلى تلك الطائرة تاركاً الوطن والأحباب .

* * *

مضى على سفر فارس شهر تقريباً ، كانت ملاذ في هذه الفترة تُلاحظ تغيرات كثيرة على والدها ! لقد قرر أخيراً أن يُصليّ !
بل وإنهُ صار يُكثر من الصلاة في محاولة لقضاء ما فاته طوال خمسين سنة مضت ..

شعرت ملاذ بأن هذه التغيرات ماهي إلاّ بتأثير كلمات فارس به .. فلقد طلبت منهُ أن يكلمه بخصوص الصلاة ولكن كيف اقتنع والدها بعد كل هذا العناد ؟
كانت فرحة ملاذ لا توصف وهي ترى إن والدها صارت حالته تتغير يوماً بعد يوم نحو الأحسن .. صار يُحسن من معاملتها وكثيراً ما يحاول ممازحتها وفي بعض الأحيان يطلب منها أن تختار أي مكان ليأخذها إليه !
وفي إحدى تلك الليالي قال لها بعد إكمال وجبة العشاء :
ـ ما رأيك يا ملاذ لو نقوم غداً بزيارة بيت عمك أبي منتظر ؟
ـ ماذا ؟!
ـ ها .. لم تقولي رأيك ؟
ـ حسناً حسناً يا أبي .. الأمر في النهاية لك !
ـ حسناً إذاً .. سأتصل الآن بكريم وأخبره بالأمر لكن .. لا ، سنجعلها مفاجأة !
لم تعرف ملاذ ماذا تقول فالمفاجآت صارت كثيرة هذه الأيام !
وفعلاً في مساء اليوم التالي رافقت والدها إلى دار العم كريم ، وهناك كانت مفاجأة فعلاً لجميع أفراد العائلة .. !
كان أبو ملاذ يبدو شخصاً آخر ، مما حدى بمنتظر ووالده أن يتبادلا بين فترة وأخرى نظرات التعجّب والاستغراب !
ولكن أم منتظر كانت شُبه متأكدة من أن فارس قد فعلها وكلّم صاحبه بالموضوع ، مما جعله يبدو شخصاً آخر تماماً !! قالت هامسة وهي تميل برأسها نحو ملاذ :
ـ ألا ترين بأن والدك قد تغير تماماً ؟!!
أجابت ملاذ وهي تحاول أن تخفض صوتها :
ـ ليست أخلاقه فقط يا خالتي ، لقد صار ملتزماً بكل شيء وأهمها الصلاة ! .. أظن إن عمي فارس قد كلّمهُ محاولاً هدايته .
ـ لا تظنّي ذلك ، بل تأكدي من إن فارس قد كلمهُ فعلاً .
وفي تلك الأثناء قامت أم منتظر إلى المطبخ ولحقتها ملاذ ، أما منتظر وأخوته فقد كانوا يجلسون أمام التلفاز منشدّين لمعرفة نتيجة الفريق الوطني الذي خاض مباراة مهمة بكرة القدم مع أحد المنتخبات الأجنبية .
استغل حامد انشغال الجميع فتحدّث مع صاحبه قائلاً :
ـ يقولون يا أبا منتظر (إخطب لابنتك ولا تخطب لابنك) ولذلك فها أنا اليوم أتيتك لأخطب ولدك منتظر لأبنتي ملاذ !

فتح كريم عينيه أكثر في محاولة للتأكد من إن الذي أمامه هو صاحبه حامد فعلاً!
قال وهو غير مصدّق لما يسمع :
ـ أبو ملاذ .. أرجو إعادة ما تفضلّت به قبل قليل ! فأظنني لم أسمع جيداً !
قال حامد مبتسماً :
ـ أرجو أن لا تجعلها واحدةً بواحدة وتُرجعني خائباً كما فعلتها بك سابقاً !
ـ لكن يا صاحبي .. هل أنت متأكد مما تقول ؟
ـ أبو منتظر .. هل توافق على زواج ابنك من ابنتي أم لا ؟
قال أبو ملاذ هذه الجملة وقد بدا جادّاً في كلامه ، فبادره أبو منتظر بالقول :
ـ وكيف لا أوافق يا صاحبي !؟ وأنت تعرف إن هذه أُمنيتي منذ زمن .
ـ حسناً .. وهي الآن أُمنيتي أيضاً ، فمتى سيكون إعلان الأمر إن شاء الله ؟
ـ على راحتك يا صاحبي ، أتريد أن نُعلن عنهُ اليوم .. أنا مستعد !
ـ وأنا كذلك ، بعد العشاء سنعملها مفاجأة للجميع !
وبعد أن إنتهى الجميع من تناول العشاء قالت أم منتظر لابنتها الصغيرة :
- قومي وساعدي ملاذ في رفع الأواني من المائدة لأقوم أنا بصب الشاي ..
قال زوجها مقاطعاً إياها :
-لا يا أم منتظر .. اتركي الشاي اليوم وليكن عصيراً فالليلة ليلة فرح !
تعجبت المرأة من كلام زوجها الذي أكمل قائلاً :
-لا تستغربوا جميعكم ! ما بكم تنظرون إليّ هكذا ، سنُعلن الليلة خطوبة منتظر وملاذ !

ابتسم أبو ملاذ وهو يحاول أن يجعل الأمر طبيعياً جداً ثم قال مازحاً ـ ماذا يا أم منتظر .. ألا يوجد لديكم عصير ؟
ـ بلى ، يوجد ... لكن !
ـ لكن ماذا .. تأكدي من إن كلام زوجك مضبوط مئة بالمئة .
شعرت أم منتظر بأنها ستطير من الفرح بعدما تأكدت من صحة الخبر ، أسرعت بإتجاه المطبخ وهي تقول بلهفة : سيكون كل شيء جاهزاً حالاً !
أما منتظر وملاذ فلم يكونا مصدّقين لما يدور حولهما !!
بقى منتظر مُتسمّراً أمام جهاز التلفاز دون حراك !
قال له والده بصوت يملئه الفرح والسعادة :
ـ ألا تقوم لتشكر عمك يا منتظر ؟

قام منتظر وقبّل يد حامد ليعود ويجلس في مكانه !
أما ملاذ فلقد تصرفت وكأنها لم تسمع شيئاً ، استمرت في رفع الصحون الفارغة من المائدة وقد شعرت بأن يديها ترتجفان وقلبها يخفق بشدّة ، أما قدماها فلم تشعر بهما في تلك الساعة !
اتجهت نحو المطبخ فاستقبلتها أم منتظر وقد أخذت منها الصحون ووضعتها على الطاولة ثم حضنتها وهي تبكي وتقول :
- مبروك يا ملاذ .. وأخيراً يا حبيبتي سيتحقق الأمل .
قالت ملاذ والدهشة مازالت باديةً عليها :
- أخاف يا خالتي أن يكون هذا مجرد حلم فأستيقظ منهُ لأجد كل شيء ما يزال كما كان !
- لا .. لا يا ملاذ لقد أمر الله في أن يجمعكما معاً وتحت سقفٍ واحد ، ألم تسمعي والدك ؟ لقد كان جاداً في حديثه ، لقد تغير أبوك كثيراً يا ملاذ .
وعندها شعرت ملاذ بأنها في حقيقة ، نعم فإن والدها لم يتغير الآن ، بل إنه كذلك منذ أكثر من شهر !
وحتى رأيه في منتظر قد تغير وها هو أخيراً يوافق على زواجها منه .
كانت صدمة فعلاً ، لكنها جميلة !
عادت ملاذ وعانقت أم منتظر لكنها هذه المرة أطلقت العنان لدموعها التي أغرقت وجهها ، وهي تردد : أحمدك ألف حمد يا ربي ، فكل ما نحنُ فيه هو من فضلك وعطائك ، الشكر لك يا رباه .

* * *

بعد أسبوع تقريباً من هذه الحادثة اتصل منتظر بفارس ليخبرهُ بالأمر ..
رفع فارس الهاتف وما أن سمع صوت منتظر حتى عرفهُ رغم كونه كان صوتاً ضعيفاً بعض الشيء لبُعد المسافات ، قال منتظر بعد تبادل السلام والتحيات :
- يجب أن تكون عندنا في بداية الشهر القادم يا عم !
- ماذا ... عندكم ! ولكن لماذا ؟
- لأنك يجب أن تحضر حفل عقد قِراني ..
- عقد قِرانك ! ولكن على من ؟
- على ملاذ ...
- هل أنت جاد فيما تقوله يا منتظر ؟ إن كنت تمزح معي فسوف أعاقبك يا فتى !

ـ أنا جاد يا عم ... صدّقني !
وبعد خمسة عشر يوم تقريباً من تلك المكالمة كان فارس لديهم وقد فرح به الجميع وفرحوا أكثر عندما عرفوا بأن الله قد أنعم عليه بتحقيق رغبته فأن زوجته الآن حامل في الشهر الثاني وهذا ما جعلهُ لا يستطيع إحضارها معه خوفاً عليها من تعب الطريق وبُعد السفر .
ها هو فارس قد تهيأ ليعقد قران منتظر على ملاذ ، كانت فرحة الجميع لا توصف ، وبعد أن أعطت ملاذ الموافقة على الزواج من منتظر وبعد أن قرأ الجميع سورة الفاتحة تيمناً وتبركاً ، حاول فارس أن يمزح كعادته موجهاً كلامه إلى منتظر :
ـ إسمع يا فتى .. أنا الذي اخترتُ إسمك و إسم عروسك عندما جئتما إلى هذه الحياة .. فصار حرياً بي أن اختار بنفسي اسماً لولدكما القادم بإذن الله .
قال منتظر وقد بدا جادّاً :
ـ لا يا عم ... اعذرني ! ثم إنك تنتظر مولوداً في الطريق ، حينها سمّه كما شئت ! أما أنا فلقد اخترتُ اسماً لولدي منذ الآن ولا أريد أن يتدخل أحد في تغييرهُ !
قال فارس :
- هل هذا جزائي يا رجل .. ! ها ؟ ثم ماذا تنوي تسميته ؟ لنرى !
قال منتظر :
- سأسميه ((فارس)) ولن أرجع عن قراري هذا أبداً !
ضحك الجميع ، فقام فارس من مكانه وقد خنقته العبرة واتجه نحو منتظر الذي عانقهُ بقوّة وهو يقول :
ـ لن أنسى وقفتك معي يا عم أبداً .
قال فارس وقد اغرورقت عيناه بدموع الفرح :
ـ إن الفضل كلّه يرجع للإيمان والحب الإلهي الذي تحملانه في قلبيكما الطاهرين أنت وعروسك ، هنيئاً لكما ورزقكما الله ذرّيةً صالحةً تكون عوناً وسنداً لكما في الدنيا والآخرة ، ثم تلا قوله تعالى :
((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)) .

النهاية